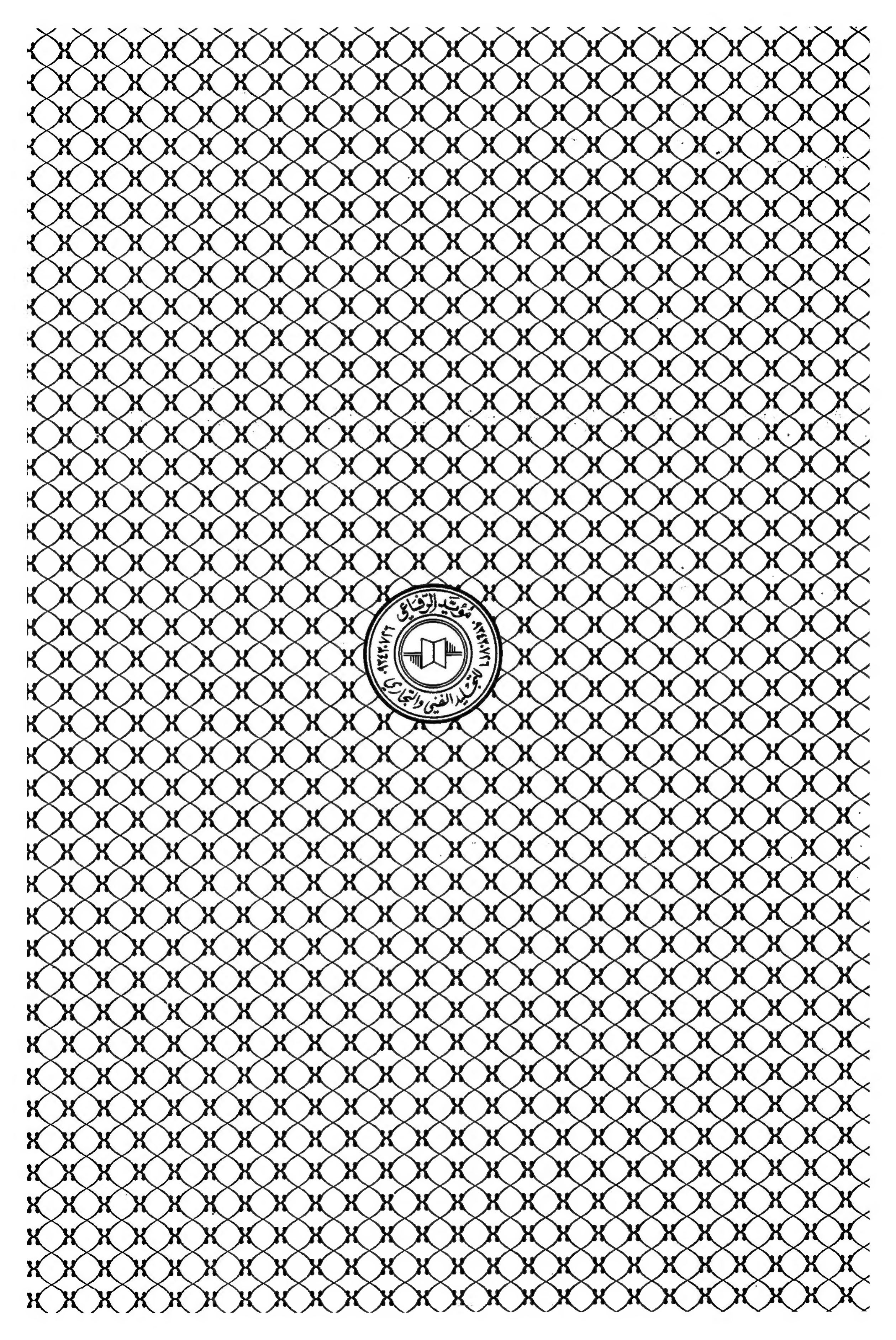
التفسير والمفسرون

الدكتورة فاطمة محمد مارديني

الشعراوي
روح المعاني
ابن كثير
تفسير الجلالين
فتح القدير
التفسير المنير
مفاتيح الغيب
أحكام القرآن

دار غار حراء
بيت الحكمة



التفسير والمفسرون

التفسير والمفسرون

الدكتورة فاطمة ماردیني





الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



سوريا - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا - جوال : ٠٩٣٣٧٩٣٢١٤



إهداء

إلى

رسول البشرية الأعظم وحبيب رب العالمين الأكرم صلى الله عليه وسلم عدد ما ذكره الذاكرون

وغفل عن ذكره الغافلون

راجية القبول مع ضعفي والشفاعة مع تقصيري

ومن جنابه الكريم

إلى روح

والدي و والدتي

محمد ماrديني إسعاف غنام

رحمهما الله تعالى

اللهم اجعلهما في عليين واحشرنا معهم تحت لواء سيد المرسلين ﷺ مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، خاتم الأنبياء والمرسلين، وقائد الغرِّ المحجلين، إلى جنان الخلد في يوم الدين؛ وبعد:

فإني أحمد الله تعالى أن وفقني للعمل في كتابه الكريم، تدريساً وتأليفاً، وتلك منّة يمنها عليَّ ولا أفي حقها من الشكر ما حييت، وأدعوه تعالى أن يقبلني على هذا الدرب إلى أن تأتيني ساعة المنيّة وأنا مكبّة على دراسة كتابه الكريم.

وقد قمت بتدريس مادة تفسير القرآن الكريم لسنوات طويلة في الكليات الشرعية في سورية، وألفتُ عدَّة كتب في هذا الاختصاص، وبعد اطلاعي على كتب كثيرة ونماذج مختلفة ذات اتجاهات شتى من التفسير لكتاب الله الكريم، ومع تنوع كتب التفسير وكثرتها في هذا العصر، افتقدت كتاباً يجمع شتات المناهج القديمة والمعاصرة، ويعرفنا ولو باليسير على نماذج من هذه الكتب ويذكر لنا المناهج التي سلكها المؤلفون في كل منها، وهنا لا أنسى أبداً أن أشير إلى كتاب (التفسير والمفسرون للذهبي) فقد كان له السبق في هذا المجال وقد استفدت منه كثيراً في هذا الكتاب، إلا أنه لم يؤلف بعده على هذا المنوال، وباتت الكتب التي درسها الذهبي قديمة وبعيدة بحسب الزمن الذي ألف فيه كتابه، وكان لا بد من كتاب جديد يتم ما بدأ به الذهبي ويكمله.

فقمت بوضع خطة لذلك المشروع الطويل الذي يحتاج إلى جهد عظيم، فالكتب كثيرة والمناهج متعددة والكثير منها يحتاج إلى وقفة تأمل ونقد وتحليل، ورفض أو ترجيح سيما وقد ظهر في العصر الحاضر كتّاب كثيرون ألفوا في التفسير إرادة الدسّ والتحريف، فغيروا حقائق واعتمدوا آراء فاسدة وتقوَّلوا على كتاب الله تعالى، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وربما يقصدون إلى الإفساد سبيلاً، فكان لا بدَّ من البيان والتوضيح.

ووضعت هذا الكتاب مختصراً عمَّا نويت القيام به، سائلة الله تعالى أن يكتب له القبول، ويمدني بالعون والتوفيق لإتمامه وتحري الحقائق فيه وبيانها.

وفي الختام، أسأل المولى عز وجل أن يتقبَّل منِّي هذا الجهد المتواضع، ويجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم إنَّه على ما يشاءُ قدير، وأرجو أن يجد طلاب العلم الفائدة والمنفعة المرجوة من هذا الكتاب.

فإن أحسنت فَمِنَ اللهِ ـ تعالى ـ وإن أخطأتُ فمنْ نفسي، وكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، ورحم الله امرءاً أهدى إلي عيوبي.

وَصلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ؛ وَعَلَى آلهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين

والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمين

الفصـــل الأول

التَّفْسِيْر

البُعْدُ الدلاليّ

تعريف التفسير

تعريف التأويل

الفرق بين التفسير والتأويل

نشأة علم التفسير

مكانة علم التفسير

الغرض من التفسير

فضل علم التفسير

الحاجة إلى التفسير

مراتب التفسير

أحسن طرق التفسير



المبحث الأول
تعريـف التفسير

التفسير لغة.

التفسير اصطلاحاً.

ـ **التفسير لغة**[١]: الإبانة وكشف المغطى من (الفَسْر)، يُقال: هو مقلوب من السَّفْر تقول: أسفر الصبح إذا أضاء، وقيل: مأخوذ من التفسرة وهي اسم لما يعرف به الطبيب المرض.

وفَسَّرَ الشيءَ يفسِره ويفسُره فسراً، وفَسَره أبانه، والتفسير مثله.

والفسر: كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل.

ـ **التفسير اصطلاحاً**[٢]: علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النـزول والناسخ والمنسوخ.

أو: هو علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دِلالتُه على مراد الله تعالى بقدْر الطاقة البشرية.



---

(١) انظر: القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المطبعة الحسينية، القاهرة، ط٢، ١٩٢٣، (الفَسْرُ). ولسان العرب، ابن منظور المصري، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٨م. (فسر) والبحر المحيط (١/ ١٣) أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، (١/ ١٣)، محمد بن عبد الله الزركشي، تح: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت. والإتقان (٢/ ١٧٣) جلال الدين السيوطي، دار الفكر، د.ط، د.م، د.ت.
والتفسير والمفسرون، (١/ ١٤) محمد حسين الذهبي، د.م، ط٢، ١٩٧٦.
ومناهل العرفان (٢/ ٤) محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨، والتعريفات (٦٣) علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٩٨٨، وأبجد العلوم، (٢١٧) صديق بن حسن القنوجي وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٨.

المبحث الثاني
تعريف التأويل

التأويل لغة.

التأويل اصطلاحاً.

التأويل عند المتكلمين.

التأويل عند الأصوليين.

ـ **التأويل لغة** [١]: من آل إليه أَوْلاً ومآلاً رجع عنه وارتد .

وأوَّلَ الكلام تأويلاً : دبَّره وقدره وفسره.

والتأويل من الأَوْل، أي الرجوع إلى الأصل، ومنه: الموئل للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه، عِلْماً كان أو فعلاً، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمران : ٧].

فالمؤوِّلُ صَرَفَ الآيةَ إلى ما تحتمله من المعاني، وقيل: من الإيالة؛ أي: السياسة فكأن المؤول يسوس الكلام ويضع فيه المعنى موضعه .

ـ **التأويل اصطلاحاً** [٢] هو صرف اللفظ عن الاحتمال الظاهر إلى احتمال مرجوح لاعتضاده بدليل يصير به أغلب الظن من المعنى الذي دل عليه الظاهر .

أو: هو بيان مدلول اللفظ بغير المتبادر منه لدليل، وهو ترجيح أحد المحتملات بدون قطع .

ـ **التأويل عند المتكلمين** [٣]:

ظهر هذا المعنى والخلاف فيه عند المسلمين عندما دخلت الفلسفة اليونانية إلى الفكر الإسلامي، وتمسك بها أصحاب الجبر والاعتزال، ونبتت

---

(١) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي (آل)، ومفردات ألفاظ القرآن، (٩٩) الراغب الأصفهاني، تح: صفوان داودي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط١، ١٩٩٢، ولسان العرب، ابن منظور (أول).

(٢) انظر: مناهل العرفان، الزرقاني (٢/ ٦)، والتفسير والمفسرون، الذهبي (١/ ١٧) والإتقان، السيوطي، (٢/ ١٧٣) والتعريفات، الجرجاني، (٥٠).

(٣) انظر: أصول التفسير وقواعده (٥٤) خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٩٨٦.

بينهم نابتةُ علمِ الكلام الذي مِن أظهرِ سماته علمُ التأويل، وطلبوا لكلام الله تعالى التأويلات المستكرهة، والمخارج البعيدة، وجعلوه عويصاً وألغازاً، وجعلوا لـه العقل أساساً لقبوله أو رده، فإذا ظهر تعارض بين التأويل والقرآن، ينبغي عندهم حمْلُ التأويل للنصوص إلى ما يوافق عقولهم وتأويلاتهم .

إنهم يسْعون بشتى أنواع التأويلات ليخرجوا النصوص عما سيقت له، ليطابقوها على المعاني التي يريدون إثباتها. وكثيراً ما يحمّلون النصوص ما لا تتضمنه من المعاني المتكلفة ليدفعوا بها معارضاً، أو ليؤيدوا بها رأياً .

ـ التأويل عند الأصوليين[(١)]:

لم يختلف علماء الأصول في تحديد معنى التأويل عن علماء التفسير، وكان الحاصل عندهم أن **تأويل القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:**

١ ـ **ما لا سبيل إلى الوصول إليه،** وهو الذي استأثر الله تعالى بعلمه، وحَجَبَه عن جميع خلقه.

٢ ـ **ما خص اللهُ تعالى بعلم تأويله نبيَّه ﷺ** وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره ـ واجب ومندوب ومستحب ـ وصنوف نهيه، ووظائف حقوقه وحدوده .

وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه إلا ببيان رسول الله ﷺ بنص منه.

٣ ـ **ما يعلم تأويلَه كلُّ ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن الكريم .**

ـ ولكنهم وضعوا شروطاً ليكون التأويل مقبولاً[(٢)]:

١ ـ أن يكون المعنى الذي أول إليه النص من المعاني التي يحتملها

---

(١) انظر: م.ن (٥٦)

(٢) انظر: الإحكام في أصول الأحكام (٢/ ١٣٥) الآمدي، مطبعة صبيح، د.ط، د.م، ١٣٤٧هـ. وأصول الفقه الإسلامي (١/ ٣١٤) وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٦.

لفظ النص نفسه، ويدل عليها بطريق من طرق الدلالة بمفهومه أو منطوقه، وأن يكون في الوقت نفسه موافقاً لوضع اللغة .

٢ ـ أن يستند التأويل إلى دليل صحيح يدل على صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى غيره، وأن يكون هذا الدليل راجحاً على ظهور اللفظ في مدلوله، لأن الأصل هو العمل بالظاهر .

فالعامُّ على عمومه، ولا يُقصَرُ على بعض أفراده إلا بدليل، والمطلق على إطلاقه، ولا يُعدَلُ عن إطلاقه الشائع إلى تقييده إلا بدليل، وظاهرُ الأمر الوجوبُ فيُعمَلُ به حتى يقوم الدليلُ على الندب أو الاستحباب أو غيرهما، وظاهرُ النهي التحريمُ، فيُعمل به حتى يدل الدليل على العدول عنه إلى الكراهة مثلاً .

٣ ـ أن يكون الناظرُ في النص المتأولُ لـه أهلاً للتأويل، ويوافق في تأويله وضع اللغة، أو العرفَ الشرعيَّ أو الاستعماليَّ .



المبحث الثالث

الفرق بين التفسير والتأويل

سبعة فروق بين التفسير والتأويل مع الأمثلة

الفرق بين التفسير والتأويل[1]

ورد لفظ التأويل في القرآن الكريم في آيات متعددة، وأريد منه معان مختلفة مثل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧] **فالتأويل في هذه الآية يعني التفسير.**

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥].

فالتأويل في هذه الآية بمعنى العاقبة والمصير.

وغير ذلك من الآيات كثير، مما يوضح أن كلمة التأويل قد تطلق فيراد منها معان مختلفة، ومن هنا اختلف العلماء في تحديد **الفرق بين التفسير والتأويل، على أقوال متعددة هذه بعضها:**

١ - التفسير والتأويل بمعنى واحد، وهما مترادفان.

٢ - التفسير أعم من التأويل، وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ، والتأويل في المعاني، والتأويل يستعمل أكثر في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها.

٣ - التفسير القطع والشهادة على الله تعالى على أن المراد من اللفظ هذا المعنى، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله.

٤ - التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً، كتفسير الصراط بالطريق، والتأويل تفسيرُ باطنِ اللفظ، فهو إخبارٌ عن حقيقة المراد، والتفسير إخبارٌ عن دليل المراد.

٥ - التفسيرُ هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنِها وقصَّتِها، والتأويلُ

---

(١) انظر: البرهان، الزركشي (٢/ ١٤٩) والإتقان، السيوطي (٢/ ١٧٣)، والتفسير والمفسرون، الذهبي (١/ ١٨) وأصول التفسير وقواعده، العك (٥٢).

هو صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط .

٦ ـ التفسير يتعلق بالرواية، والتأويل يتعلق بالدراية .

٧ ـ التفسير هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة، والتأويل هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة .

بعد استعراض هذه الأقوال في الفروق بين التفسير والتأويل، وبعد الإعراض عن أقوال أخرى لم أجد ضرورة لذكرها لأنها ربما تندرج تحت هذه السبعة المذكورة، أو أنني لم أوافق عليها، أقول كما قال صاحب (التفسير و المفسرون)[١]:

والذي تميل إليه النفس من هذه الأقوال: هو **أن التفسير ما كان راجعاً إلى الرواية، والتأويل ما كان راجعاً إلى الدراية.** وذلك لأن التفسير معناه الكشف والبيان، والكشفُ عن مراد الله تعالى لا يُجزَم به إلا إذا ورد عن رسول الله ﷺ أو عن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع وخالطوا رسول الله ﷺ ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم.

وأما التأويل: فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل، والترجيح يعتمد على الاجتهاد، ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب، واستعمالها بحسب السياق، ومعرفة الأساليب العربية، واستنباط المعاني من كل ذلك .



---

(١) محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون (١/ ٢٢).

المبحث الرابع
نشأة علم التفسير

أوجه تفسير القرآن بالقرآن.

أثر القراءات في التفسير.

أوجه بيان السنة للقرآن.

تدرج تدوين التفسير.

نشأة علم التفسير(١)

ترجع نشأة علم التفسير إلى عهد رسول الله ﷺ حيث نزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ وأثار حركة علمية فكرية، وجعل الصحابة يرجعون إلى رسول الله ﷺ في تفسير ما غمض، وتوضيح ما صعُب عليهم فهمُه وإدراكُه.

وقد فسَّر رسول الله ﷺ القرآن بالقرآن، فكانت قاعدة لدى كل المفسرين، أن أول ما يفسر به القرآن الكريم هو القرآن، **ويشمل تفسيرُ القرآن بالقرآن الوجوه التالية:**

١ ـ شرح ما جاء موجزاً في القرآن بما جاء في موضع آخر مسهباً كقصة موسى وفرعون؛ جاءت مختصرة في بعض المواضع وجاءت مطولة في مواضع أخرى.

٢ ـ حَمْل المجمل على المبين ليفسر به، مثل قوله تعالى في سورة البقرة (٣٧): ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ فسَّرَتْهَا الآيةُ (٢٣) من سورة الأعراف: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

٣ ـ حَمْل المطلق على المقيد، والعامِّ على الخاص:

آ ـ مثل آية الظهار مع آية القتل، ففي كفارة الظهار يقول تعالى في سورةالمجادلة: (٣) ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾. وفي كفارة القتل يقول تعالى في سورة النساء (٩٢): ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ فيحمل المطلق في الآية الأولى على المقيد في الآية الثانية.

ب ـ مثل: نفي الخلة والشفاعة على جهة العموم في قوله تعالى:

(١) انظر: أصول التفسير وقواعده، العك (٣٢)، والمدخل لدراسة القرآن الكريم (٣١) محمد محمد أبو شهبة، ط٢، د.م، د.ت.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وقد استثنى الله المتقين من نفي الخلة في قوله تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧﴾ [الزخرف: ٦٧].

واستثنى ما أُذن فيه من الشفاعة بقوله: ﴿۞وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم: ٢٦].

٤ ـ الجمع بين ما يتوهم أنه مختلف:

كخلق آدم من تراب في بعض الآيات ومن طين في غيرها ومن حمأ مسنون ومن صلصال، فإنَّ هذا ذِكْرٌ للأطوار التي مر بها آدم من مبدأ خَلْقه إلى نفخ الروح فيه.

٥ ـ حمل بعض القراءات على غيرها، فبعض القراءات تختلف مع غيرها في اللفظ مثل قراءة ابن مسعود: (أو يكوْن لك بيت من ذهب) تفسِّرُ لفظ الزخرف في القراءة المشهورة: ﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ﴾ [الإسراء: ٩٣].

وبعض القراءات تختلف مع غيرها في اللفظ والمعنى وإحدى القراءتين تعيِّن المراد من القراءة الأخرى، مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾ [الجمعة: ٩] فسَّرتها القراءةُ الأخرى: (فامضوا إلى ذكر الله).

لأن السعي عبارة عن المشي السريع، وهو وإن كان ظاهر اللفظ إلا أن المراد منه مجرد الذهاب.

وبعض القراءات تختلف عن غيرها بالزيادة والنقصان، وتكون الزيادة في إحدى القراءتين مفسرة للمجمل في الأخرى.

مثل قراءة سعد بن أبي وقاص: (وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امرَأَةٌ

وَلَهُ أَخٌ أَو أُختٌ من أم فَلِكُلِ وَاحِدٍ مِنهُمَا السُّدُسُ) فسرت القراءةَ الأخرى في سورة النساء (١٢) ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ﴾ التي لم تعرض نوع الأخوة. وهذه طبعاً قراءات تفسيرية وليست من القرآن الكريم، إنما يستفاد منها في التفسير.

فالقراءات مرجع مهم من مراجع التفسير للقرآن بالقرآن.

روي عن مجاهد أنه قال: (**لو كنتُ قرأتُ قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابنَ عباس ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألتُه عنه**).

٦ ـ تحديد المعنى المطلوب تفسيره بما يَعْقِبُه مثل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ قالوا: فسَّرَها ما بعدها ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٣ ـ ٤]. ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩﴾ ففي معنى الهلوع قالوا: هو الذي ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢١].

ولم يكن تفسير القرآن يدوَّن في عهد رسول الله ﷺ كعلم مستقل بنفسه وإنما كان يروى منه عن النبي ﷺ ما كان يتعرض لتفسيره، وهاك أوجهُ بيان السنة للقرآن نبينها في الفقرة التالية .

أوجه بيان السنة للقرآن:

ـ **الوجه الأول:** بيان المجمل من القرآن، مثل بيانه ﷺ لمواقيت الصلاة وتوضيح المشكل، ومثل تفسيره ﷺ للخيط الأبيض والخيط الأسود بأنه بياض النهار وسواد الليل .

وتخصيص العام، مثل تخصيصه ﷺ الظلم في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢]. بالشرك، فإنّ بعض الصحابة فهم أن الظلم مراد منه العموم حتى قال: (وأيُّنا لم يظلم نفسه؟). فقال النبي ﷺ: «**ليس بذلك إنما هو الشرك**».

وتقييد المطلق، مثل تقييده ﷺ اليد باليمين في ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣١].

الوجه الثاني: بيانُ معنى لفظٍ أو متعلَّقِهِ، كبيان ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ باليهود و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ بالنصارى.

الوجه الثالث: بيان أحكام زائدةٍ على ما جاء في القرآن الكريم، كتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها.

الوجه الرابع: بيان النسخ، وهو أن يبين رسولُ الله ﷺ أن آية كذا نُسخت بكذا أو أن حكم كذا نُسخ بكذا.

فقوله ﷺ: «**لا وصية لوارث**» قد نسخَ حُكمَ آية ﴿ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ وإن بقيت تلاوتُها .

الوجه الخامس: بيان التأكيد، وذلك بأن تأتي السُّنَّةُ موافقةً لما جاء به القرآن، ويكون القصد من ذلك تأكيد الحكم وتقْويتُه، مثل قوله ﷺ: «**لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطِيْبِ نفْسٍ منه**» فهو يوافق قوله تعالى: ﴿لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [النساء: ٢٩] .

تدرج تدوين التفسير:

ولما بدأ العلماء بجمع ما روي عن النبي ﷺ من الحديث، صنفوا ما روي عنه ﷺ وما روي عن أصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين من التفاسير للآيات، وما يتعلق بها، فكان علماءُ كلٍّ بلد يقومون بجمع ما عرف لأئمة بلدهم، كما فعل ذلك أهل مكة في تفسير ابن عباس، وأهل الكوفة فيما روي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وفي عهد الصحابة رضوان الله عليهم لم توضع قواعد لتفسير القرآن الكريم، لأنهم العرب الذين نزل بلغتهم القرآن، وكانت عندهم سنة رسول الله ﷺ المبينة عن الله تعالى ما أراد، بالإضافة إلى سليقتهم العربية ومعرفتهم لأسباب النزول، وإدراكهم لمقاصد القرآن الكريم.

ثم جاء عهد التابعين رضي الله عنهم، الذين أخذوا علم الكتاب والسنة عن الصحابة رضي الله عنهم، وقد تخرجت كل طبقة من التابعين على يد مجموعة من الصحابة الكرام الذين كانوا في المدينة التي يقطنونها أو يرحلون إليها.

وبعد اتساع الفتح الإسلامي، واختلاط العرب بغيرهم من الأمم الداخلة في دين الله تعالى، لم تعد اللغة العربية سليقةً لكثير من المسلمين وخاصة سكان الحضر، فكان ذلك وغيره من الأسباب مدعاةً لوضع العلوم العربية والشرعية وعلى رأسها علم الكتاب والسنة في حيِّز التصنيف والتدوين والتأليف .

ومضى عهد التابعين، وكان عهد تابعي التابعين، واتسعت آفاق المعرفة، وتفرق العلماء في الأمصار المفتوحة، وبدت ألوان جديدة من مظاهر الحياة والثقافة .

وبدأت الخطوات الأولى للتصنيف والتدوين في أواخر عهد بني أمية وبداية عهد العباسيين، حيث دونت السنة النبوية وهي تضم بين جنباتها تفسير القرآن الكريم .

ثم اتجه العلماء إلى فصل العلوم بعضها عن بعض، فأصبح للحديث علماؤه ومصنفاته، وللتفسير علماؤه ومصنفاته، وللقراءات علماؤها ومصنفاتها، وللفقه علماؤه ومصنفاته .

وكان من الطبيعي أن يكون أول ما يدون من علوم القرآن هو علم التفسير، إذ هو الأصل في فهم القرآن وتدبره، وعليه يتوقف استنباط الأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام .



المبحث الخامس
مكانة علم التفسير

المفسرون لكتاب الله عز وجل لهم شرف عظيم.

علم التفسير حاز الشرف من ثلاث جهات.

علم التفسير أول علم واجب على البشر الاعتناء به.

مكانة علم التفسير(١)

إن تفسير كتاب الله تعالى هو كالنور الذي ينير لقارئ القرآن المعاني الجليلة، فيبينها له ويوضحها، وهو كالمرشد والدليل الذي يمسك بيد التالي لكتاب الله تعالى، فيدله على مواضع الإعجاز، ومواطن البلاغة.

وإن المفسرين لكتاب الله تعالى هم الجديرون أن يكونوا أهل القرآن وخاصَّتَه لأنهم هم أعلم الناس بكتاب ربهم تعالى، وكما أن لهم هذا الشرف الجليل، فإنهم على خطر عظيم، ومسؤولية جمة كبيرة، فإن هم أحسنوا الفهم والعمل والتعليم، فهم ـ إن شاء الله تعالى ـ أهلُ الله وخاصَّتُه، وإن هم أساؤوا الفهم، وفسروا على أهوائهم، وطيَّعوا النصوص لما يوافق آراءهم دون أن يعتمدوا في ذلك على دليل أو برهان، فإن ذلك هو الخسران المبين، لهم ولمن يليهم ممن يأخذ عنهم ويتعلّم منهم.

وقد قال تعالى عن كتابه الكريم: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١] أي: يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويَكِلُون ما أشكل عليهم إلى عالِمِه(٢).

فما أحق من علم كتاب الله تعالى أن يزدجر بنواهيه، ويخشى الله ويتقيَهُ، فإن الحجة على من علمه ثم أغفله فلم يطبق ما فيه، والواجب على من خصه الله تعالى بفهمه وتعلمه أن يتلوَه حق تلاوته، ويرعاه حق رعايته، ولا يَلتمسَ الهدى في غيره .

ثم إن شرف علم التفسير لا يخفى على كل ذي بصيرة، وقد قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة: ٢٦٩] .

(١) انظر: الإتقان، السيوطي، (٢/ ١٧٥) وأصول التفسير وقواعده، العك (٢٧).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري (البقرة، ١٢١).

والحكمة في أحد معانيها: هي المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، مقدمه ومؤخره، حلاله وحرامه، وأمثاله وعبره .

وقد أجمع العلماء على أن التفسير من فروض الكفاية، وهو أَجَلُّ العلوم الشرعية، وإن أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان هي تفسير القرآن، وبيان ذلك هو أن علم التفسير قد حاز الشرف من جهات ثلاث: من **جهة الموضوع، ومن جهة الغرض، ومن جهة شدة الحاجة إليه .**

١ ـ من جهة الموضوع: لأن موضوعه كلام الله سبحانه الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدنِ كل فضيلة.

٢ ـ من جهة الغرض: لأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الأبدية التي لا تفنى، إذ به معرفة مراد الله سبحانه من كلامه المنزل على نبيه محمد ﷺ، ومعرفة مواضع أمره فتؤتى، ومواضع نهيه فتجتنب.

٣ ـ من جهة شدة الحاجة إليه: فلأن كل كمال ديني أو دنيوي، عاجلٍ أو آجلٍ، مفتقرٌ إلى العلوم الشرعية، والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى .

لذلك كُلِّه كان علمُ التفسير أوَّلَ علمٍ واجب على البشر الاعتناءُ به على وجه الصحة والدقة العلمية، ليتحصل بذلك القدرة على استنباط الأسرار القرآنية بحسب الطاقة البشرية، ومعرفة معاني كلام الله سبحانه من الأوامر والنواهي وغيرها .

فأرجو الله عز وجل أن يهيئ لعلماء هذه الأمة أمرَ العناية بعلم التفسير ليصار إلى تخليصه مما اعتراه من شوائب وأخطاء، مع عظيم الضرر المترتب على إبقائه هكذا دون تهذيب أو تشذيب.



المبحث السادس
الغرض من تفسير القرآن الكريم

المقصد الأعلى من القرآن الكريم.

غرض المفسر.

المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها.

الغرض من تفسير القرآن الكريم[1]

أنزل الله تعالى القرآن الكريم كتاباً لصلاح أمر الناس كافة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

فكان **المقصد الأعلى منه: صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرانية، فالصلاح الفردي** يعتمد تهذيب النفوس وتزكيتها وأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد، ثم صلاح السريرة.

وأما **الصلاح الجماعي**، فيحصل أولاً من الصلاح الفردي إذ الأفراد أجزاء المجتمع، ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه.

وأما **الصلاح العمراني** فهو حفظ نظام العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع.

فمراد الله تعالى من كتابه الكريم، هو بيان تصاريف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدين، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

وغرض **المفسر**: بيان ما يصل إليه من مراد الله تعالى في كتابه، بأتمِّ بيان يحتمله المعنى، ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن، أو ما يتوقف عليه فهمه أكمل فهم، وأن يخدم المقصد تفصيلاً وتفريعاً مع إقامة الحجة على ذلك إن كان به خفاء، أو لتوقع مكابرة من معاند أو جاهل.

---

(١) انظر: أصول التفسير وقواعده، العك (٦٣). والإتقان، السيوطي (٢/ ١٧٥).

إذن فغرض المفسر أن يعلم المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها، وهي ثمانية أمور:

١ ـ إصلاح الاعتقاد وتعلم العقائد الصحيحة، وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق، لأنه يطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾ [هود: ١٠١].

٢ ـ تهذيب الأخلاق، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤]. وهذا المقصد قد فهمه عامة العرب كلهم وخاصة الصحابة، رضي الله عنهم.

٣ ـ التشريع، وهو الأحكام خاصة وعامة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾ [المائدة: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء: ١٠٥].

٤ ـ سياسة الأمة، وهو باب عظيم في القرآن، القصد منه صلاح الأمة، وحفظ نظامها: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ﴾ [الأنفال: ٤٦].

٥ ـ القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣].

٦ ـ التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها، وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار، وزاد القرآن على ذلك

تعليم حكمة ميزان العقول، وصحة الاستدلال فقال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

٧ ـ **المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير**، وهذا يشمل جميع آيات الوعد والوعيد، والمحاجة والمجادلة للمعاندين .

٨ ـ **الإعجاز بالقرآن** ليكون آية دالة على صدق الرسول ﷺ إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي، والقرآن جمع كونه معجزة بلفظه، ومتحدى لأجله بمعناه .

﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨].



المبحث السابع
فضل علم التفسير

فهم القرآن أساس للعمل به.

التفسير مفتاح كنوز القرآن.

الحفظ والفهم ثم العمل.

فضل علم التفسير[1]

إن العمل بتعاليم القرآن الكريم، لا يكون إلا بعد فهم القرآن الكريم وتدبره، والوقوف على ما حوى من نصح ورشد، والإلمام بمبادئه عن طريق تلك القوة الهائلة التي يحملها أسلوبه البارع المعجز، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق الكشف والبيان لما تدل عليه ألفاظ القرآن، وهو ما نسميه بعلم التفسير.

فالتفسير هو مفتاح هذه الكنوز والذخائر التي احتواها هذا الكتاب المجيد النازل لإصلاح البشر، وإنقاذ الناس، وإعزاز العالَم.

وبدون التفسير لا يمكن الوصول إلى هذه الكنوز والذخائر، مهما بالغ الناس في ترديد ألفاظ القرآن، وتوافروا على قراءته كل يوم ألف مرة بجميع وجوهه التي نزل عليها.

وقد نجح سلفنا الصالح بهذا القرآن نجاحاً مدهشاً كان ومازال موضع إعجاب التاريخ والمؤرخين، مع أن أسلافنا أولئك كانوا في قلة من العدد وضيق من الأرض، وخشونة من العيش، ومع أن نُسَخ القرآن ومصاحفه لم تكن ميسورة لهم، ومع أن حفاظه لم يكونوا بهذه الكثرة الغامرة.

إن السرّ في ذلك هو أنهم عكفوا على دراسة القرآن واستخراج كنوز هداياته، يستعينون على هذه الثقافة العليا بمواهبهم الفطرية ومَلَكَاتهم السليمة العربية من ناحية، وبما يشرحه رسول الله ﷺ ويبينه لهم بأقواله وأعماله وأخلاقه وسائر أحواله. ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

ولذلك فقد كان همُّهم الأول هو القرآن الكريم، يحفظونه ويفهمونه، ثم يعملون بتعاليمه بدقة، ويهتدون بهديه في يقظة.

---

(١) انظر: مناهل العرفان، الزرقاني (٢/ ٩).

أما غالب المسلمين اليوم، فقد اكتفوا من القرآن بألفاظ يردّدونها، وأنغام يلحنونها في المآتم والمقابر والدور، ومصاحف يحملونها أو يودعونها تركة في البيوت، ونسوا أن بركة القرآن العظمى إنما هي في تدبره وتفهمه، وفي الجلوس إليه والاستفادة من هديه وآدابه، ثم الوقوف عند أوامره، والبعد عن نواهيه، وقد قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

ويقول سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

وإن آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها، **وهو أن يعودوا إلى كتاب الله يستلهمونه الرشد والهدى، ويحكّمونه في نفوسهم وفي كل ما يتصل بهم كما كان الأولون يتلونه حق تلاوته بتدبر وتفكر في مجالسهم ومساجدهم** وبيوتهم، وفي صلواتهم المفروضة والنافلة وفي تهجدهم بالليل والناس نيام، حتى ظهرت آثاره الباهرة عاجلة فيهم.



المبحث الثامن
الحاجة إلى تفسير القرآن الكريم

الحاجة إلى تفسير القرآن[1]

نزل القرآن الكريم بلسان عربي في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه، أما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبي ﷺ في الأكثر.

ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر، لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم، فنحن أشد احتياجاً إلى التفسير، ومعلوم أن التفسير بعضه يكون من قِبَل الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها، وبعضه من قِبَل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض.

وإن علم التفسير علم عسر يسير، أما عسره فظاهر من وجوه، أظهرها أنه كلام متكلم لم تصل الناس إلى مراده بالسماع منه، ولا إمكان للوصول إليه، بخلاف الأمثال والأشعار ونحوها، فإنه يمكن للإنسان العلم بها بأن يسمع من صاحبها أو ممن سمع منه، أما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يُعلم إلا بأن يسمع من الرسول ﷺ وذلك متعذر إلا في آيات قلائل، فالعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل.

والحكمة فيه أن الله تعالى أراد أن يتفكر عباده في كتابه فلم يأمر بالتنصيص على المراد في جميع آياته.

وأما يسره فلأن الله تعالى يسره فقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر: ٤٠].



(١) انظر: الإتقان، السيوطي (٢/ ١٧٤).

المبحث التاسع
مراتب التفسير

التفسير أربعة أوجه:

الذي تعرفه العرب.

ما لا يعذر واحد في جهله.

ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

ما يرجع إلى اجتهاد العلماء.

مراتب التفسير[١]

«التفسير أربعة أوجه، وجه تعرفه العرب من كلامها، ووجه لا يعذر أحد بجهالته، ووجه تعلمه العلماء، ووجه لا يعلمه إلا الله تعالى»[٢].

١ ـ **فأما الذي تعرفه العرب**: فهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم، وذلك شأن اللغة والإعراب، فعلى المفسر معرفة معاني اللغة، ومسميات أسمائها ولا يلزم ذلك القارئ.

ثم إن كان ما تتضمنه ألفاظها يوجب العمل دون العلم، كفى فيه خبر الواحد والاثنين، والاستشهاد بالبيت والبيتين، وإن كان مما يوجب العلم لم يكف ذلك، بل لا بد أن يستفيض ذلك اللفظ، وتكثر شواهده من الشعر.

أما الإعراب، فما كان اختلافه محيلاً للمعنى وجب على المفسر والقارئ تعلمه، ليتوصل المفسر إلى معرفة الحكم، وليسلم القارئ من اللحن، وإن لم يكن محيلاً للمعنى وجب تعلمه على القارئ ليسلم من اللحن، ولا يجب على المفسر لوصوله إلى المقصود دونه، على أن جهله نقص في حق الجميع.

٢ ـ **ما لا يعذر واحد في جهله**: وهو ما تتبادر الأفهام إلى معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام، ودلائل التوحيد، وكل لفظ أفاد معنى واحداً جلياً لا سواه يعلم أنه مراد الله تعالى.

فهذا القسم لا يختلف حكمه، ولا يلتبس تأويله، إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد من قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وأنه لا شريك له في الألوهية، وإن لم يعلم أن (لا) موضوعة في اللغة

---

(١) انظر: البرهان، الزركشي (٢/ ١٦٤)، والإتقان، السيوطي (٢/ ١٨٢) وعلوم القرآن الكريم (٧٣) نور الدين عتر، دار الخير، دمشق، ط١، ١٩٩٣.

(٢) قول لسيدنا ابن عباس رضي الله عنه.

للنفي، و(إلا) للإثبات، وأن مقتضى هذه الكلمة الحصر، ويعلم كل أحد بالضرورة أن مقتضى قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]. ونحوها من الأوامر طلب إيجاب المأمور به، وإن لم يعلم أن صيغة (اِفعل) مقتضاها الترجيح وجوباً أو ندباً.

فما كان من هذا القسم، لا يقدر أحد أن يدَّعي الجهل بمعاني ألفاظه، لأنها معلومة لكل أحد بالضرورة.

٣ ـ **ما لا يعلمه إلا الله تعالى**: وهو ما يجري مجرى الغيوب نحو الآي المتضمنة قيام الساعة ونزول الغيث وما في الأرحام، وتفسير الروح، والحروف المقطعة.

وكل متشابه في القرآن عند أهل الحق، لا مساغ للاجتهاد في تفسيره، ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف من أحد ثلاثة أوجه:

أ ـ نص من التنزيل.

ب ـ بيان من رسول الله ﷺ.

جـ ـ إجماع الأمة على تأويله.

فإذا لم يرد فيه توقيف من هذه الجهات علمنا أنه مما استأثر الله تعالى بعلمه.

٤ ـ **ما يرجع إلى اجتهاد العلماء**: وهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل، وهو صرف اللفظ إلى ما يؤول إليه، وذلك استنباط الأحكام، وبيان المجمل، وتخصيص العموم.

وكل لفظ احتمل معنيين فصاعداً فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه، وعلى العلماء اعتماد الشواهد والدلائل، وليس لهم أن يعتمدوا مجرد رأيهم فيه..



المبحث العاشر
أحسن طرق التفسير

طرق التفسير:

القرآن الكريم نفسه.

السنة النبوية الشريفة.

أقوال الصحابة.

اللسان العربي.

أحسن طرق التفسير[1]

إن من أراد تفسير القرآن الكريم فعليه أن يسلك أحد الطرق التالية بالترتيب:

١ ـ **القرآن الكريم نفسه**: فما أُجمِل أو أوجِزَ في موضع فقد فُسر وبُسط في موضع آخر.

فلزم أن ينظر المفسر في القرآن نظرة فاحص مدقق، ويجمعَ الآيات في موضع واحد، ثم يقارن بعضها بالبعض الآخر، فإن عدل عن هذا وفسر برأيه فيكون تصرفه تصرفاً مذموماً.

٢ ـ **السنة النبوية الشريفة**: إن السنة الشريفة هي شارحة للقرآن الكريم وموضحة له، ويلزم الرجوع إليها مع الاحتراز في النقل عن الضعيف والموضوع فإنه كثير، ويبحث المفسر عن الروايات الصحيحة ما استطاع، فإن ترك هذه الناحية أو قصّر في طلبها فإنه قد يقع في طامات لا تحمد عقباها.

٣ ـ **أقوال الصحابة**: فهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال للقرآن حين نزوله، فلزم الأخذ بما صح عنهم رضوان الله عليهم.

وقد كان الاختلاف بينهم في تفسير القرآن قليلاً جداً، وهو وإن كان بين التابعين أكثر فهو قليل بالنسبة لمن بعدهم ممن تلقى جميع التفسير عن الصحابة والتابعين، ثم الاختلاف بين السلف في التفسير يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.

---

(١) انظر: البرهان، الزركشي (٢/ ١٧٥) والإتقان، السيوطي (٢/ ١٧٩)، ومقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، (٩٣) تح: عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، بيروت، ط١، ١٩٧١، وأصول التفسير، العك (٧٩).

٤ ـ **اللسان العربي**: لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي، ولكن على المفسر أن يحترز من صرف الآية إلى معان يدل عليها القليل من كلام العرب.

فإن لم يجده في اللغة، فليطلبه بالمقتضى من معنى الكلام، والمقتضب من دلالة الشرع.







التَّفْسِيْر

بَيْنَ القَدِيم وَالحَدِيثِ

التفسير بالمأثور (دراسة تحليلية نقدية).

التفسير بالرأي ـ الجائز ـ.

التفسير بالرأي ـ المنحرف ـ.

التفسير الاعتزالي.

التفسير الصوفي.

التفسير الفلسفي.

التفسير الفقهي.

التفسير العلمي.

التفسير المعاصر.



المبحث الأول
التفسير بالمأثور دراسة تحليلية نقدية

تعريف التفسير المأثور.

الموقف من التفسير المأثور.

أسباب دخول الدس والتحريف في كتب التفسير.

طبقات المفسرين:

الطبقة الأولى (السابقون من الصحابة).

قيمة التفسير المأثور عن الصحابة.

الطبقة الثانية (المفسرون من التابعين).

الطبقة الثالثة (تلاميذ التابعين).

الطبقة الرابعة (طبقة عنيت بالفوائد بعد حذف الأسانيد في الرواية).

مدارس التفسير.

الضعف في رواية التفسير وأسبابه (الوضع - الإسرائيليات - حذف الأسانيد).

أشهر كتب التفسير بالمأثور.

تعريفه[١]:

هو ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، حيث ما أجمل في آية فسر في آية أخرى، ويشمل أيضاً القراءات، فكثيراً ما تكون إحدى القراءات مفسرة للأخرى .

وما جاء عن النبي ﷺ في سنته كذلك، والتفسير الوارد عن الصحابة الذين عاصروا زمن نزول الوحي، وشهدوا أسباب النـزول، فكانوا أعلم المسلمين بتفسيره وتأويله.

وقد ألحق بعض العلماء تفسير التابعين بالتفسير المأثور، لكونهم عايشوا أصحاب النبي ﷺ، واستقوا علومهم منهم، فكانوا من السلف الأخيار، وقد شحنت كتب التفسير بالمأثور بأقوالهم، ولم تكتف بما ورد عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة الكرام، رضوان الله عليهم .

الموقف من التفسير المأثور[٢]:

إن الشخص الذي يفسر نصاً من النصوص، يلوّن هذا النص بتفسيره إياه، لأن المتفهم لعبارة من العبارات، هو الذي يحدّد معناها وفق مستواه الفكري، وعلى سعة أفقه العقلي، وليس في استطاعته أن يفهم من النص إلا ما يرمي إليه فكره السليم من الانحراف والأهواء بعد اطلاعه على ما اجتمع عنده من أدلة وآثار .

وهذا أمر ملحوظ في كتب التفسير على اختلافها، فما من كتاب منها إلا وقد بدت آثار شخصية صاحبه فيه، مما يدل على إعجاز القرآن وسعة ما فيه من معارف، إذ كل عالم بعلم يجد بحراً زاخراً في القرآن من ذلك العلم .

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون، الذهبي (١/ ١٥٢)، وأصول التفسير، العك (١١١).
(٢) انظر: التفسير والمفسرون، الذهبي (١/ ١٥٥)، ومدخل الدراسات القرآنية، السائح علي حسين (٣١٦) جمعية الدعوة الإسلامية العالمية طرابلس، ط١، ٢٠٠٠م.

غير أن هذا الطابع الشخصي الذي يطبع به التفسير، وإن ظهر جلياً واضحاً في كتب التفسير بالرأي، غير أنه لا يبدو على هذا النحو من الوضوح والجلاء في كتب التفسير بالمأثور، إلا أن المتصدي للتفسير النقلي يجمع حول الآية من المرويات ما يشعر أنها متجهة إليه.

وكذلك راج بين المتقدمين، ما هم في شوق إليه من أسباب المكونات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود، وتفصيل الأحداث الكبرى في تاريخ الإنسانية الأولى، نظراً لبداوتهم وأميتهم، وقلة المتداول بينهم منه، فكان من وراء ذلك كثرة الإسرائيليات.

كما لوحظ لون شخصي آخر في التفسير بالمأثور، وذلك أن الشخص الذي يعرف قيمة الرجال، ويستطيع أن ينقد السند، ويعرف أسباب الضعف في الرواية، يطبع تفسيره بهذا الطابع الخاص، فيتحرى الصحة فيما يرويه، ولا يُدْخِل في كتابه مروياً اعتراه الضعف أو تطرق إليه الخلل[١].

أما الشخص الذي لا دراية له بأسباب الضعف في الرواية، وليس عنده القدرة على نقد الرجال ونقد المروي عنهم فحاطِبُ لَيلٍ، يجمع كل ما ينقل له في ذلك دون أن يفرق بين الصحيح والسقيم.

ومن خلال ما سبق، لا بد من التأكيد على أن **تفسير القرآن الكريم بالسنة، أو أقوال الصحابة، لا بد فيه من تحري صحة ما يرد منه؛ فما كان صحيحاً من حيث سندُه ومتنُه قبلناه، وما كان ضعيفاً شديد الضعف أو موضوعاً رفضناه،** لأننا نواجه موروثاً كبيراً يحتاج للدراسة والتمحيص نتيجة ما دخله من دس وتحريف.

أسباب دخول الدس والتحريف في كتب التفسير:

١ ـ إن أعداء الإسلام من زنادقة اليهود والفرس قد دسّوا الكثير من

---

(١) ولا أبالغ لو قلت: إن مثل هذا الطابع أو التفسير على النحو الموصوف، يكاد يكون نادراً بين كتب التفسير مع الأسف.

الروايات والتفسيرات المغرضة بغية هدم الإسلام من خلال الانحراف في فهم نصوصه المقدسة.

٢ ـ إن أصحاب الفرق المتصارعة على السلطة قد لفقوا روايات مكذوبةً عن رسول الله ﷺ ليعززوا بها مذاهبهم.

٣ ـ لجأ المفسرون إلى التيسير بحذف الإسناد، وبذلك اختلطت الروايات فلم يعرف الصحيح من السقيم.

٤ ـ كثر الأخذ مما يرويه الذين أسلموا من أهل الكتاب، وقد أمرنا الرسول ﷺ إذا ما وجدنا عندهم ما لم يثبت لدينا صِدْقُه من كَذِبه، ألّا نصدقهم لاحتمال أن يكون كذباً، ولا نكذبهم لاحتمال أن يكون صدقاً.

ومع هذا نجد كثيراً من المفسرين ينقلون روايات لا يقرها عقل ولا صحيح من النقل، بحجة أن هذه الروايات لا تتعلق بالأحكام، فلا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً، ولكنها تضيف توضيحاً لقصة وردت مجملة في القرآن مثلاً.

ولكن هذا التساهل كان ضرره أكثر من نفعه، وكم انزلقت أقلام كثير من المفسرين في نقل ما ظنوه سهلاً، لا يحرِّم ولا يحلِّل، وإذا بهم يقعون في طامات الافتراء على أنبياء الله تعالى، واتهامِهِم بما لا يليق بهم، والتحدثِ عنهم بما لا يناسب مقام النبوات، بل ويتعارض مع العقيدة السليمة الصحيحة، وجاءت بعدهم أجيال تنقل عنهم وتسلِّم لهم دون أي تفكير بإمكانية وقوع الخطأ منهم، لأنهم من علماء الأمة وفرسان المضمار، فمَن بحق الله يتصدى لمثل ذلك الشؤم؟!..

ومن يقوم للأمة بعملية التنقية والتصفية لتعود إلى الدين الصحيح والعلم المتين؟؟!.

طبقات المفسرين[١]:

قسَّم المؤرّخون المفسرين إلى طبقات:

أ ـ الطبقة الأولى (السابقون من الصحابة):

وهم عدد قليل منهم، قالوا في القرآن بما سمعوه من رسول الله ﷺ مباشرة أو بالواسطة، وبما شاهدوه من أسباب النزول، وبما فتح الله به عليهم من طريق الرأي و الاجتهاد، وكان أشهرهم:

الخلفاء الأربعة ـ عبد الله بن مسعود ـ عبد الله بن عباس ـ أبي بن كعب ـ زيد بن ثابت ـ أبو موسى الأشعري ـ عبد الله بن الزبير ـ أنس بن مالك ـ أبو هريرة ـ جابر بن عبد الله ـ عبد الله بن عمر ـ عبد الله بن عمرو ابن العاص ـ عائشة الصديقة رضي الله عنها وعنهم أجمعين.

غير أن ما نقل عن هؤلاء الصحابة المذكورين رضي الله عنهم، قد تفاوت قلّة وكثرة، لأسباب عديدة مختلفة .أما المكثرون من الصحابة في التفسير فهم:

١ ـ عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

(عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي)، ابن عمِّ رسول الله ﷺ، وأمه (لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية)، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين فحنكه النبي ﷺ بريقه، ولازم النبي ﷺ في صغره لقرابته منه ولأن خالته ميمونة كانت من أزواج رسول الله ﷺ، توفي رسول الله ﷺ ولابن عباس من العمر ثلاث عشرة سنة.

توفي رضي الله عنه سنة ٦٨هـ وله من العمر سبعون سنة.

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون، الذهبي (١/ ٦٣) وما بعدها، ومدخل الدراسات القرآنية، حسين (٣٢١)، والإتقان للسيوطي (٢/ ١٨٧) وما بعدها.

وللاستزادة في هذا المبحث فليرجع إلى طبقات المفسرين، شمس الدين محمد بن علي الداودي، تح: علي محمد عمر، مطبعة الاستقلال، القاهرة، ١٩٧٢.

كان يلقب بالحبر والبحر لكثرة علمه، وكان على درجة عظيمة من الاجتهاد والمعرفة بمعاني كتاب الله، وكان عمر رضي الله عنه يجلسه في مجلسه مع كبار الصحابة، وكان لفرط أدبه إذا سأله عمر مع الصحابة عن شيء يقول: (**لا أتكلم حتى يتكلموا**) وكان عمر يعتد برأي ابن عباس مع حداثة سنه، ولعل بعض أشياخ المجلس كانوا يتساءلون عن جلوسه معهم فسألهم عمر يوماً: ما تقولون في ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نُصرنا. فسأل ابنَ عباس فقال: هو أجَلُ رسول الله ﷺ أعلمه الله به قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ فذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾.

وكان علي بن أبي طالب يثني على تفسير ابن عباس ويقول: (**كأنما ينظر إلى الغيب من ستر دقيق**).

أسباب نبوغه:

١ ـ دعاء النبي ﷺ له بقوله: «**اللهم علمه الكتاب والحكمة**» وفي رواية: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**».

٢ ـ نشأته في بيت النبوة وملازمته لرسول الله ﷺ.

٣ ـ ملازمته لأكابر الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ يأخذ منهم ويروي لهم، ويتحدث ابن عباس عن نفسه فيقول: (**وجدت عامة حديث رسول الله ﷺ عند الأنصار، فإن كنت لآتي الرجلَ فأجده نائماً لو شئت أن يوقَظ لي لأوقظ، فأجلس على بابه تسفي على وجهي الريحُ حتى يستيقظ متى ما استيقظ وأسأله عما أريد ثم أنصرف**).

٤ ـ حفظه للغة العربية ومعرفته لغريبها وآدابها وخصائصها وأساليبها.

٥ ـ بلوغه مرتبة الاجتهاد وعدم تحرجه منه وشجاعته في بيان ما يعتقد أنه الحق دون أن يأبه لملامة لائم ونقد ناقد ما دام يثق بأن الحق في جانبه.

بالإضافة لما وهبه الله من قريحة وقادة وعقل راجح، ورأي صائب وإيمان راسخ ودين متين.

رجوعه إلى أهل الكتاب:

كان رضي الله عنه يرجع إلى أهل الكتاب ويأخذ عنهم بحكم اتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل بأنها من عند الله تعالى، ولكن ذلك كان في دائرة محدودة ضيقة تتفق مع القرآن وتشهد له، أما ما عدا ذلك مما يتنافى مع القرآن ولا يتفق مع الشريعة الإسلامية فكان ابن عباس لا يقبله ولا يأخذ به.

رجوعه إلى الشعر القديم:

كان يرجع إلى الشعر الجاهلي في فهم معاني الألفاظ الغريبة التي وردت في القرآن الكريم، مثل ما روي عنه من مسائل نافع بن الأزرق حيث سأله:

أخبرني عن قول الله تعالى ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ۝٣٧﴾ قال: (العزين): حِلَق الرفاق، قال: هل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص، وهو يقول:

فجاؤوا يهرعون إليه حتى ... يكونوا حول منبره عزينا

التفسير المنسوب إلى ابن عباس المسمى:

[تنوير المقباس من تفسير ابن عباس] وقيمته العلمية:

لا تصح نسبة هذا التفسير إلى ابن عباس، بل جمعه الفيروزآبادي ونسبه إليه معتمداً في ذلك على رواية واهية هي رواية محمد بن مروان السدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذه هي سلسلة الكذب كما قيل.

ولعل أسباب الوضع على ابن عباس هو أنه كان من بيت النبوة، والوضع عليه يكسب الموضوع ثقة وقوة.

وأنه كان من نسله الخلفاء العباسيون، وكان من الناس من يتزلف إليهم ويتقرب منهم بما يرويه لهم عن جدهم.

٢ ـ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

(عبد الله بن مسعود بن غافل) يصل نسبه إلى مضر ويكنى بأبي عبد الرحمن الهذلي وأمه أم عبد بنت عبد ود من هذيل، أسلم قديماً، يقول: **(لقد رأيتُني سادسَ ستة ما على الأرض مسلم غيرنا).**

وهو أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ، وأوذي في الله من أجل ذلك، ولما أسلم أخذه رسول الله ﷺ فكان يخدمه في أكثر شؤونه، وهو صاحب طهوره وسواكه ونعله، روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: **(قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حيناً لا نرى ابن مسعود وأمه إلا من أهل بيت رسول الله ﷺ لما نرى من كثرة دخوله ودخول أمه على رسول الله ﷺ ولزومه له).**

هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة وصلى إلى القبلتين، وشهد بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ.

شهد اليرموك بعد وفاة رسول الله ﷺ، وهو الذي أجهز على أبي جهل يوم بدر.

وقد شهد له رسول الله ﷺ بالجنة وشهد له بالفضل وعلو المنزلة، أخرج أحمد عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو كنت مؤمراً أحداً دون مشورة المؤمنين لأمرت ابن أم عبد»**، وقد ولي بيت المال بالكوفة لعمر وعثمان، ومات بالمدينة سنة ٣٢هـ، وعمره بضعٌ وستون سنة.

مبلغه من العلم: كان ابن مسعود رضي الله عنه من أحفظ الصحابة لكتاب الله تعالى.

وكان رسول الله ﷺ يحب أن يسمع منه القرآن، وقد أخبر هو بنفسه عن ذلك فقال: قال لي رسول الله ﷺ: **«اقرأ علي سورة النساء، قلت: أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه حتى بلغت:** ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾

[النساء: ٤١] فاضت عيناه ﷺ»، وكان ﷺ يقول: «من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد».

وروى ابن جرير وغيره عن ابن مسعود أنه قال: (**كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن**) ومن هذا الأثر يتضح لنا مقدار حرص ابن مسعود على تفهم كتاب الله تعالى، والوقوف على معانيه.

٣ ـ علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ، وصهره على ابنته فاطمة رضي الله عنها، أمه فاطمة بنت أسد ابن هاشم، وهو رابع الخلفاء الراشدين، وأول من أسلم من الأحداث.

شهد المشاهد كلها إلا تبوك فإن رسول الله ﷺ خلفه على أهله، وآخاه رسول الله ﷺ لما آخى بين أصحابه، وهو أحد المبشرين بالجنة.

توفي في سنة ٤٠هـ، مقتولاً بيد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي وعمره (٦٣) سنة.

مبلغه من العلم:

كان بحراً في العلم، قوي الحجة، سليم الاستنباط، أوتي الحظ من الفصاحة والخطابة والشعر، ولاه رسول الله ﷺ قضاء اليمن، ودعا له بقوله: «**اللهم ثبت لسانه واهد قلبه**»[(١)] وقد ضرب به المثل فقيل: «**قضية ولا أبا حسن لها**».

وكان عالماً بكتاب الله ولكن ما صح عنه في التفسير قليل بالنسبة لما وضع عليه، ويرجع ذلك إلى غلاة الشيعة الذين أسرفوا في حبه فاختلقوا عليه ما هو منه بريء، إما ترويجاً لمذهبهم وإما لظنهم الفاسد أن الإغراق في نسبة الأقوال العلمية إليه يعلي قدره ويرفع شأنه.

---

(١) رواه: أحمد وأبو داود والترمذي.

وإن كثرة الوضع على علي رضي الله عنه أفسدت الكثير من علمه ومن أجل ذلك لم يعتمد أصحاب الصحيح فيما يروونه عنه إلا على ما كان من طريق الأثبات من أهل بيته أو من أصحاب ابن مسعود كعبيدة السلماني وشريح وغيرهما.

٤ ـ أبي بن كعب رضي الله عنه:

أبو المنذر أو أبو الطفيل، أبي بن كعب بن قيس الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة وبدراً وهو أول من كتب لرسول الله ﷺ، مات في خلافة عمر رضي الله عنه.

مبلغه من العلم:

كان سيد القراء وأحد كتاب الوحي، أخرج الترمذي بسنده إلى أنس بن مالك قال: إن النبي ﷺ قال لأبي بن كعب: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك** ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ قال: آلله سماني لك؟ قال: نعم، فجعل أُبي يبكي».

وفي رواية أنه قيل لأُبي: (**وفرحت بذلك؟ قال: وما يمنعني وهو يقول:** ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٨]).

وكان أبي من أعلم الصحابة بكتاب الله ولعلّ من أهم عوامل معرفته بمعاني كتاب الله هو أنه كان قبل إسلامه حَبراً من أحبار اليهود العارفين بأسرار الكتب القديمة وما ورد فيها، وكونه من كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وهذا يجعله بالضرورة على مبلغ عظيم من العلم بأسباب النزول ومواضعه، ومقدَّم القرآن ومؤخَّره، وناسِخِهِ ومنسوخِهِ، ثم لا يعقل بعد ذلك أن تمر عليه آية من القرآن يشكل معناها عليه دون أن يسأل عنها رسول الله ﷺ.

قيمة التفسير المأثور عن الصحابة

١ ـ تفسير الصحابي لـه حكم المرفوع، إذا كان يرجع إلى أسباب النـزول، وكل ما ليس للرأي فيه مجال، أما ما يكون للرأي فيه مجال فهو موقوف عليه ما دام لم يسنده إلى رسول الله ﷺ.

٢ ـ ما حكم عليه بأنه من قبيل المرفوع لا يجوز رده اتفاقاً، بل يأخذه المفسر ولا يعدل عنه إلى غيره.

٣ ـ ما حكم عليه بالوقف، تختلف فيه أنظار العلماء:

ـ **الفريق الأول**: الموقوف على الصحابي من التفسير لا يجب الأخذ به لأنه لما لم يرفعه، علم أنه اجتهد فيه، والمجتهد يخطئ ويصيب، والصحابة في اجتهادهم كسائر المجتهدين.

ـ **الفريق الثاني**: يجب الأخذ به والرجوع إليه، لظن سماعهم له من رسول الله ﷺ ولأنهم إن فسروا برأيهم فرأيهم أصوب لأنهم أدرى الناس بكتاب الله.

يقول الحافظ ابن كثير في مقدمة تفسيره: **(وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح).**

ب ـ الطبقة الثانية (المفسرون من التابعين):

الذين تتلمذوا للصحابة، فتلقوا غالب معلوماتهم عنهم.

وكانت مصادر تفسيرهم: ما جاء في القرآن الكريم نفسه وما رواه الصحابة عن رسول الله ﷺ، وما رواه الصحابةُ أنفسهم من تفسيرهم، وما أخذه التابعون من أهل الكتاب مما جاء في كتبهم، وما فتح الله به عليهم من طريق الاجتهاد والنظر في كتاب الله تعالى.

وفي هذه الفترة الزمنية كانت قد اتسعت رقعة العالم الإسلامي، وانتشر الصحابة في الأمصار المختلفة، ينقلون العلوم التي أخذوها من رسول الله ﷺ إلى البلاد التي رحلوا إليها، فجلس إليهم كثير من التابعين يأخذون عنهم العلم، وينقلونه لمن بعدهم، فقامت مدارس علمية مختلفة أساتذتها الصحابة، وتلاميذها التابعون.

واشتهرت بعض هذه المدارس بالتفسير، وتتلمذ فيها كثير من التابعين لمشاهير المفسرين من الصحابة، فقامت مدرسة التفسير بمكة، وأخرى بالمدينة وثالثة بالعراق.

وهذه لمحة عن كل مدرسة وأشهرِ رجالها من التابعين.

مدارس التفسير:

١ ـ مدرسة التفسير بمكة:

قامت على **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما فكان يجلس لأصحابه من التابعين، يفسر لهم كتاب الله تعالى، ويوضح لهم ما أشكل من معانيه.

أشهر رجالها: **سعيد بن جبير ـ مجاهد بن جبر ـ عكرمة مولى ابن عباس ـ طاوس بن كيسان اليماني ـ عطاء بن أبي رباح.**

٢ ـ مدرسة التفسير بالمدينة:

قامت بالمدينة مدرسة للتفسير على **أبي بن كعب** رضي الله عنه، تتلمذ فيها كثير من التابعين.

أشهر رجالها: **أبو العالية ـ محمد بن كعب القرظي ـ زيد بن أسلم.**

٣ ـ مدرسة التفسير بالعراق:

قامت بالعراق على **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه، ويمتاز أهل العراق بأنهم أهل الرأي، فيكثر تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد في هذه المدرسة.

أشهر رجالها : علقمة بن قيس ـ مسروق ـ مرة الهمذاني ـ عامر الشعبي ـ الحسن البصري ـ قتادة.

ج ـ الطبقة الثالثة (تلاميذ التابعين):

صنفوا كتب التفسير التي جمعت بين أقوال الصحابة والتابعين.

د ـ الطبقة الرابعة :

طبقة عنيت بالفوائد بعد حذف الأسانيد في الرواية.

ثم ظهرت تفاسير جماعات من المفسرين برعوا في بعض العلوم، فأودعوها كتبهم، ثم جاءت طبقة من المفسرين عنوا بالاقتباس من التفاسير السابقة، وبالإيجاز والاختصار والتيسير على غير ذوي الاختصاص، ثم ألف في التفسير خلق كثير فاختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال تترى دون أن ينسبوها إلى قائليها، فدخل من هنا الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل من سنح له قول يورده، ومن يخطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظاناً أن له أصلاً.

ثم صنّف بعد ذلك قوم برعوا في علوم شتى فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه، فالنحويُّ ليس له همٌّ إلا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه، ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته، والإخباريُّ ليس له شغل إلا القصص واستيعابها، والأخبار عمن سلف سواء كانت صحيحة أو باطلة.

والفقيهُ يكاد يسرد فيه الفقه من باب الطهارة إلى آخر أبواب الفقه، وربما استطرد إلى إقامة أدلة الفروع الفقهية التي لا تعلق لها بالآية، والجواب عن أدلة المخالفين.

والمبتدعُ ليس له قصد إلا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد، بحيث إنّه متى لاحت له شاردة من بعيد اقتنصها، أو وجد موضعاً له فيه أدنى مجال سارع إليه.

الضعف في رواية التفسير المأثور وأسبابه[(١)]:

ترجع أسباب الضعف في رواية التفسير المأثور إلى أمور ثلاثة:

أولاً ـ كثرة الوضع في التفسير:

وكان مبدأ ظهوره سنة إحدى وأربعين من الهجرة، حين اختلف المسلمون سياسياً، وتفرقوا إلى شيعة وخوارج وجمهور، ووجد أهل البدع والأهواء من روجوا لبدعهم، وتعصبوا لأهوائهم، ودخل في الإسلام من تبطن الكفر وأظهر الإسلام بقصد الكيد له، وتضليل أهله، فوضعوا ما وضعوا من روايات باطلة، ليصلوا بها إلى أغراضهم السيئة، ورغباتهم الخبيثة.

وكان من وراء هذه الكثرة التي دخلت في التفسير ودست عليه، أن ضاع كثير من هذا التراث العظيم الذي خلفه أعلام المفسرين، لأن ما أحاط به من شكوك أفقدنا الثقة به، وجعلنا نرد كل رواية تطرق إليها شيء من الضعف، وربما كانت صحيحة في ذاتها.

كما أن اختلاط الصحيح من هذه الروايات بالسقيم منها، جعل بعض من ينظر فيها وليس عنده القدرة على التمييز بين الصحيح والعليل، ينظر إلى جميع ما روي بعين واحدة، فيحكم على الجميع بالصحة، وربما وجد من ذلك روايتين متناقضتين عن مفسر واحد فيتهمه بالتناقض في قوله، ويتهم المسلمين بقبول هذه الروايات المتناقضة.

بالإضافة لما وضعه الوضاعون من الأحاديث الكاذبة والأخبار الباطلة في فضل كل سورة من سور القرآن الكريم، وغير ذلك من فضائل الأعمال ومع الأسف أخذها بعض المفسرين فوضعوها في كتبهم واعتمدوها كما في (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)[(٢)] حيث ختم تفسير كل سورة بحديث موضوع

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون، الذهبي (١/ ١٥٦) وما بعدها، ومدخل الدراسات القرآنية، حسين (٣٤٠).

(٢) لناصر الدين البيضاوي.

في فضلها، وكذلك في (الكشاف)[١] وكان المفروض من عالمين جليلين كهذين المفسرين أن يكونا أكثر حرصاً واتقاء لمعرفة درجة هذه الأحاديث فلا يضمنوها كتابيهما.

وقد وضع الكاذبون أحاديث كثيرة رفعوها للرسول ﷺ قاصدين أغراضاً كثيرة، فمنهم الزنادقة مثل المغيرة بن سعيد الكوفي، ومحمد بن سعيد الشامي المصلوب، وغيرهما، حيث وضعوا أحاديث لإيقاع الشك في قلوب الناس.

ومنهم قوم من دعاة الفرق الضالة الذين وضعوا الحديث لهوى يدعون الناس إليه، ومن أجل ذلك قال شيخ من شيوخ الخوارج بعد أن تاب: (إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمَّن تأخذون دينكم، فإنا كنا إذا هوينا أمراً صيرناه حديثاً).

ومنهم جماعة يدّعون وضع الحديث حُسبةً يأملون ثوابها كما زعموا، يدعون الناس إلى فضائل الأعمال، ويرغبونهم في قراءة القرآن، وقد سئل أبو عصمة: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورة سورة؟ فقال: (إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة).

والعتب على العلماء الذي أودعوا هذه الأحاديث كتبهم، ولو أنهم اقتصروا على ما ثبت في الصحاح والمسانيد وغيرها من المصنفات التي تداولها العلماء وصحت نسبتها إلى رسول الله ﷺ، ورواها الأئمة الفقهاء لكان لهم في ذلك غنية.

ومن الواضعين قوم كانوا يُنسبون إلى الخير والزهد، وظنوا أن حسن نيتهم بترغيب الناس في فعل الخير لا يدخلهم في وعيد الرسول ﷺ لمن كذب عليه متعمداً، فوضعوا أحاديث الترغيب، وهم أعظم الأصناف ضرراً على أنفسهم وغيرهم، لأنهم يرونه قربة ويرجون عليه المثوبة، وهو يوافق

---

(١) للزمخشري.

هوى العامة حيث يَعِدُونهم بالثواب الجزيل على العمل القليل، وقد أصبح لكذبهم من الأتباع أكثر من أتباع الحق نفسه، وأورد هذه الأحاديث كثير ممن ينسب إلى العلم في مصنفاتهم ولم ينبهوا عليها، فرواها الخلف عن السلف، وبسببها وقع الناس في الجهل.

وقد وضع المحدّثون مجموعة من المقاييس لمعرفة الحديث الموضوع وهي[1]:

١ ـ اعتراف الراوي الواضع صراحة أو ضمناً.

٢ ـ معارضة المروي لنص القرآن أو السنة المتواترة، أو الإجماع القطعي أو صريح العقل، حيث لا يقبل شيء من ذلك التأويل.

٣ ـ الإفراط بالوعيد الشديد على الأمر الصغير، أو الوعد العظيم على الفعل الحقير.

ثانياً ـ الإسرائيليات في التفسير[2]:

الإسرائيليات: جمع مفرده إسرائيلية، وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي، والنسبة فيها إلى إسرائيل وهو نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الإثني عشر، وإليه ينسب اليهود، فيقال: (بنو إسرائيل).

ولفظ الإسرائيليات، وإن كان يدل بظاهره على القصص الذي يروى أصلاً من مصادر يهودية يستعمله علماء التفسير والحديث، ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودي، فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما

---

(١) انظر: تدريب الراوي (١/ ٢٧٥) جلال الدين السيوطي، ط٢، دار إحياء السنة النبوية، د.ت.

(٢) انظر: التفسير والمفسرون، الذهبي (١/ ١٦٥) والإسرائيليات في التفسير والحديث، (١٩) محمد حسين الذهبي، ط٢، دار الإيمان، دمشق، ١٩٨٥، ومدخل الدراسات القرآنية، حسين (٣٤٠).

تطرق إليه التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما.

بل توسع بعض المفسرين والمحدّثين فعدّوا من الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم، وإنما هي أخبار من صنع أعداء الإسلام، دسوها على التفسير والحديث ليفسدوا بها عقائد المسلمين.

وإنما أطلق علماء التفسير والحديث لفظ الإسرائيليات على كل ذلك من باب التغليب للّون اليهودي على غيره، لأن غالب ما يروى من هذه الخرافات والأباطيل يرجع في أصله إلى مصدر يهودي، واليهود قوم بُهْت، وهم أشد الناس عداوة وبغضاً للإسلام والمسلمين.

وقد استغل أهل الكتاب اشتمال القرآن الكريم على كثير مما جاء في التوراة والإنجيل، لاسيما ما يتعلق بقصص الأنبياء، وأخبار الأمم، ولكن القصص القرآني يجمل القول مستهدفاً مواطن العبرة والعظة دون ذكر للتفاصيل الجزئية كتاريخ الوقائع، وأسماء البلدان والأشخاص، أما التوراة فإنها تتعرض مع شروحها للتفاصيل والجزئيات.

فحمل أهل الكتاب ثقافتهم الدينية من الأخبار والقصص الديني، ونقلوها إلى الصحابة رضوان الله عليهم، فكان الصحابة رضي الله عنهم يتوقفون فيما يلقى إليهم فلا يحكمون عليه بصدق أو بكذب مادام يحتمل كلا الأمرين، امتثالاً لوصية رسول الله ﷺ: «**لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا**: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾[1] [البقرة: ١٣٦]». كما أنهم لم يسألوا عن شيء مما يتعلق بالعقيدة أو يتصل بالأحكام لأنه إذا ثبت الشيء عن الرسول ﷺ فليس لهم أن يَعْدِلوا عنه إلى غيره.

---

(١) البخاري في التفسير، باب ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ رقم (٤٤٨٥).

كما كانوا لا يسألون عن الأشياء التي يشبه أن يكون السؤال عنها نوعاً من اللهو والعبث، كالسؤال عن لون كلب أهل الكهف.

أما التابعون فقد توسعوا في الأخذ عن أهل الكتاب، فكثرت على عهدهم الروايات الإسرائيلية في التفسير.

ثم جاء بعد عصر التابعين مَن عَظُم شغَفُه بالإسرائيليات، وأفرط في الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يردون قولاً، ولا يحجمون عن أن يلصقوا بالقرآن كل ما يروى لهم وإن كان لا يتصوره عقل.

وكان لهذه الإسرائيليات أثر سيئ في التفسير، حيث دخله كثير من القصص الخيالي المخترع، مما جعل الناظر في كتب التفسير التي هذا شأنها يكاد لا يقبل شيئاً مما جاء فيها لاعتقاده أن الكل من واد واحد.

ويجب على المفسر أن يكون يقظاً إلى أبعد حدود اليقظة، ناقداً إلى نهاية ما يصل إليه النقاد من دقة وروية، حتى يستطيع أن يستخلص من هذا الهشيم المركوم من الإسرائيليات ما يناسب روح القرآن، ويتفق مع العقل والنقل، كما يجب عليه أن لا يرتكب النقل عن أهل الكتاب، إذا كان في سنة نبينا محمد ﷺ بيان لمجمل القرآن.

كذلك يجب على المفسر أن يلحظ أن الضروري يتقدر بقدر الحاجة، فلا يذكر في تفسيره شيئاً من ذلك إلا بقدر ما يقتضيه بيان الإجمال.

على أن من الخير للمفسر أن يعرض كل الإعراض عن هذه الإسرائيليات، وأن يمسك عما لا طائل تحته مما يعد صارفاً عن القرآن، وشاغلاً عن التدبر في حِكَمه وأحكامه.

ثالثاً ـ حذف الأسانيد[1]:

عُرف الصحابة رضوان الله عليهم بالعدالة والأمانة، ولذلك لم يسألوا عن الإسناد في الرواية، لكنهم كانوا حريصين كل الحرص على صحة ودقة

---

(١) انظر الإتقان، السيوطي (٢/ ١٩٠) والتفسير والمفسرون، الذهبي (١/ ٢٠٢).

الروايات، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى أنه كان لا يقبل الحديث إلا بعد أن تثبت عنده صحته بالشهادة أو اليمين، زيادة في التأكد والتثبت لا اتهاماً للرواة. ثم جاء عصر التابعين، وظهر فيه الوضع، وفشا فيه الكذب، فكانوا لا يقبلون حديثاً إلا إذا جاء بسنده، وثبتت لهم عدالة رواته. وبعد عصر التابعين جاء من جمع التفسير، ودوَّن ما تجمع لديه من ذلك، فألفت تفاسير تجمع أقوال رسول الله ﷺ في التفسير، وأقوال الصحابة والتابعين، مع ذكر الأسانيد.

وألف بعدهم أقوام في التفسير، فاختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال غير معزوة لقائليها، ولم يتحروا الصحة فيما يروون، فدخل من هنا الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل.

ثم صار كل من يسنح له قول يورده، ومن يخطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده، ظاناً أن له أصلاً، غير ملتفتٍ إلى تحرير ما ورد عن السلف.

وإن هذا السبب يكاد يكون أخطر الأسباب جميعاً، لأن حذف الأسانيد جعل من ينظر في هذه الكتب يظن صحة كل ما جاء فيها، وجعل كثيراً من المفسرين ينقلون عنها ما فيها من الإسرائيليات والقصص المخترع على أنه صحيح كله، مع أن فيها ما يخالف النقل ولا يتفق مع العقل.



أشهر كتب التفسير بالمأثور

١ ـ جامع البيان في تفسير القرآن:

المؤلف[١]: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري.

من أهل آمل طبرستان، ولد سنة ٢٢٤هـ، ورحل من بلده في طلب العلم وهو في الثانية عشرة من عمره، فمر بمصر والشام والعراق، ثم استقر ببغداد، و توفي فيها سنة ٣١٠هـ، جمع الطبري من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظاً لكتاب اللهِ بصيراً به، له خبرة وعلم بالقراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ.

وقد صنف في علوم كثيرة، وأبدع التأليف، وأجاد فيما صنف، ومن مصنفاته: كتاب التفسير (جامع البيان) وكتاب التاريخ المعروف **(بتاريخ الأمم والملوك)** وكتاب **(القراءات)** و**(العدد والتنزيل)** و**(اختلاف العلماء)** و**(تاريخ الرجال من الصحابة والتابعين)**.

ولكن هذه الكتب قد اختفى معظمها من زمن بعيد، ولم يحظ منها بالبقاء إلى يومنا هذا وبالشهرة الواسعة سوى كتاب التفسير، وكتاب التاريخ.

وقد اعتبر الطبري أباً للتفسير، كما اعتبر أباً للتاريخ الإسلامي، وذلك نظراً لما في هذين الكتابين من الناحية العلمية العالية.

---

(١) انظر: وفيات الأعيان، أحمد بن خلكان (٢/ ٢٣٢) المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٢٩٩هـ، ولسان الميزان، أحمد بن حجر العسقلاني، (٤/ ١٠٢) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٩٧١.

الكتاب[١]:

يعد تفسير ابن جرير من أقوم التفاسير وأشهرها، كما يعد المرجع الأول عند المفسرين الذين عنوا بالتفسير النقلي، وإن كان في الوقت نفسه يعد مرجعاً غير قليل الأهمية من مراجع التفسير العقلي، نظراً لما فيه من الاستنباط، وتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، ترجيحاً يعتمد على النظر العقلي، والبحث الحر الدقيق.

ويقع تفسير ابن جرير في ثلاثين جزءاً من الحجم الكبير، وقد اتفق أغلب الباحثين على عظيم قيمته، وعلى أنه مرجع لا غنى عنه لطالب العلم.

وهو تفسير له أولية بين كتب التفسير، أولية زمنية، وأولية من ناحية الفن والصناعة.

أما أوليته الزمنية، فلأنه أقدم كتاب في التفسير وصل إلينا، وأما أوليته من ناحية الفن والصناعة فذلك أمر يرجع إلى ما يمتاز به الكتاب من الطريقة البديعة التي سلكها فيه مؤلفه.

منهج الكتاب:

يفسر ابن جرير الآية ويستشهد على ما يقول بما يرويه بسنده إلى الصحابة أو التابعين، من التفسير المأثور عنهم في هذه الآية، وإذا كان في =

(١) انظر: كتابة البحث العلمي (١٧٩) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، دار الشروق، جدة، ط٣، ١٩٨٦.
ومع المكتبة العربية، (٣٧٢) عبد الرحمن عطبة، دار الأوزاعي، بيروت، ط٣، ١٩٨٦.
ولمحات في المكتبة والبحث والمصادر (١٣٣) محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة ط ١٦ - ١٩٩٥ م، والتفسير ورجاله (٣٠) محمد الطاهر بن عاشور، سلسلة مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، د.ط، ١٩٧٠.
ومفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم (٢/ ٥٨٢)، أحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨.

الآية قولان أو أكثر، فإنه يعرض لكل ما قيل فيها، ويستشهد على كل قول بما يرويه في ذلك عن الصحابة أو التابعين.

وهو لا يقتصر على مجرد الرواية، بل يتعرض لتوجيه الأقوال ويرجح بعضها على بعض.

ثم هو يخاصم بقوة أصحاب الرأي المستقلين في التفكير، ولا يزال يشدد في ضرورة الاعتماد على العلم الراجع إلى الصحابة أو التابعين، والمنقول عنهم نقلاً صحيحاً مستفيضاً.

ومما يميز تفسيره أنه التزم ذكر الروايات بأسانيدها، إلا أنه في الأغلب لا يتعقب الأسانيد بتصحيح أو تضعيف، لأنه كان يرى أنه من أسند لك فقد حملك البحث عن رجال السند ومعرفة مبلغهم من العدالة أو الجرح، ومع ذلك فهو أحياناً يقف من السند موقف الناقد البصير، فيعدِّل من يعدِّل من الرجال، ويجرح من يجرح منهم، ويرد الرواية التي لا يثق بصحتها.

كذلك من الملاحظ عليه أنه يقدر إجماع الأمة، ويعطيه سلطاناً كبيراً في اختيار ما يذهب إليه من التفسير.

أما بالنسبة للقراءات فهو يعنى بذكرها، وينـزلها على المعاني المختلفة، وكثيراً ما يرد القراءات التي لا تروى عن القراء المعتبرين.

وقد يأتي في تفسيره بأخبار مأخوذة من القصص الإسرائيلي، يرويها بإسناده، ولعل هذا راجع إلى ما تأثر به من الروايات التاريخية التي عالجها في بحوثه التاريخية الواسعة.

ومما يلفت النظر في تفسيره، أنه لا يهتم بالأمور التي لا تعني شيئاً ولا تفيد، ويعلق على ذلك بقوله: **(وذلك غيرُ نافعِ العلمُ به، ولا ضارٌّ الجهلُ به، إذا أقر تالي الآية بظاهر ما احتمله التنـزيل)**[1].

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، (٧ / ٨٨) الأميرية، القاهرة، ١٣٢٣هـ.

ويكثر المؤلف في مناسبات متعددة من الاحتكام إلى ما هو معروف من لغة العرب، ومن الرجوع إلى الشعر القديم ليستشهد به على ما يقول، كما يكثر من التعرض للمذاهب النحوية عندما تمس الحاجة، مما جعل الكتاب يحتوي على جملة كبيرة من المعالجات اللغوية والنحوية التي أكسبت الكتاب شهرة عظيمة.

إلا أن هذه البحوث اللغوية التي عالجها الكتاب، لم تكن أمراً مقصوداً لذاته، وإنما كانت وسيلة للتفسير، وهو لا يطيل بها بحيث يخرج عن الغرض الأساسي مِن سَوقها ألا وهو ترجيح بعض الأقوال على بعض، أو التوفيق بين ما صح عن السلف وبين المعارف اللغوية بحيث يزيل ما يتوهم من التناقض بينها، فهو لم يفعل كما فعل غيره من الخروج عن التفسير إلى مباحث لغوية طويلة جداً لا فائدة منها سوى أن يضيع القارئ عن هدفه الأساسي من القراءة وهو الوصول إلى معاني القرآن العظيم، كذلك فإن هناك آثاراً للأحكام الفقهية في الكتاب، يعالج فيها المؤلف أقوال العلماء ومذاهبهم، ويخلص من ذلك برأي يختاره لنفسه، ويرجحه بالأدلة العلمية القيمة.

وقد يتعرض المؤلف لبعض النواحي الكلامية عند كثير من آيات القرآن، مما يشهد له بأنه كان عالماً ممتازاً في أمور العقيدة، وهو يتصدى للرد على المعتزلة في كثير من آرائهم الاعتقادية.

إن كل ما ذكر عن تفسير الطبري يجعله بحقٍّ نواةً لما وجد بعدُ من التفسير بالرأي كما يوضح بما فيه من العلوم والمعارف التي استقاها المؤلف ممن قبله وممن عاصره، إلى أنه كان مظهراً من مظاهر الروح العلمية السائدة في العصر الذي عاش فيه المؤلف.

٢ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:

المؤلف(١): عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي، ولد سنة ٤٨١هـ، وتوفي سنة ٥٤٦هـ، نشأ في بيت علم وفضل، وكان على مبلغ عظيم من العلم بالفقه والحديث والتفسير، نحوياً لغوياً أديباً شاعراً.

الكتاب(٢): لخصه مؤلفه من التفاسير السابقة له كلها، وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس.

وهو يورد التفسير المأثور ويختار منه من غير إكثار، ويناقش المنقول عنه أحياناً، كما أنه كثير الاستشهاد بالشعر العربي، يعنى بالشواهد الأدبية للعبارات، ويحتكم إلى اللغة العربية عندما يوجه بعض المعاني، وهو كثير الاهتمام بالصناعة النحوية، ويتعرض كثيراً للقراءات وينزل عليها المعاني المختلفة.

٣ ـ تفسير القرآن العظيم:

المؤلف(٣): عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير بن ضوء ابن كثير بن زرع البصري ثم الدمشقي الفقيه الشافعي.

---

(١) انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (١/ ٥٩٣)، المقري، طبعة مصر، ١٣٠٢هـ.
وبغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، (٣٧٦)، ابن عميرة الضبي، طبعة مجريط، ١٨٨٤م.
وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، (٢٩٥) جلال الدين السيوطي، طبعة مصر، ١٣٢٦هـ.

(٢) انظر: مقدمة ابن خلدون (٤٤٠) عبد الرحمن بن خلدون، الأعلمي، بيروت، د.ط، د.ت.
وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/ ٣٩٢) مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي حاجي خليفة، طبعة استانبول، ١٣٥١هـ.
والتفسير ورجاله، ابن عاشور، (٥١)، ومرجع العلوم الإسلامية (٢١٠) محمد الزحيلي، دار المعرفة، ط٢، ١٩٩٢.

(٣) انظر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، (١/ ٣٩٩) أحمد بن حجر العسقلاني، مطبعة =

ولد في قرية مجدل من أعمال بصرى الشام سنة ٧٠٠هـ، وانتقل صغيراً إلى دمشق في سبيل طلب العلم.

برع في الفقه والتفسير والنحو والحديث والتاريخ والرجال، وصنف في هذه العلوم تصانيف مفيدة ومشهورة مثل:

(البداية والنهاية) و(تفسير القرآن العظيم) و(طبقات الشافعية) و(الباعث الحثيث في علوم الحديث) و(التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل).

توفي سنة ٧٧٤هـ رحمه الله.

الكتاب(١):

تفسير ابن كثير من **أشهر ما دوّن في التفسير بالمأثور، ويعتبر في هذه الناحية الكتابَ الثاني بعد كتاب ابن جرير.**

فسر ابن كثير في كتابه كلام الله تعالى بالأحاديث والآثار مسندة إلى أصحابها مع الكلام عما يحتاج إليه جرحاً وتعديلاً.

وقد قدم له مؤلفه بمقدمة طويلة هامة، تعرض فيها لكثير من الأمور التي لها تعلق واتصال بالقرآن وتفسيره، ويمتاز التفسير بطريقة مؤلفه؛ حيث يذكر الآية، ثم يفسرها بعبارة سهلة موجزة، وإن أمكن توضيح الآية بآية أخرى ذكرها وقارن بين الآيتين حتى يتبين المعنى ويظهر المراد، وهو شديد العناية بهذا النوع من التفسير (تفسير القرآن بالقرآن) وهذا الكتاب أكثر ما عرف من كتب التفسير سرداً للآيات المتناسبة في المعنى الواحد، ثم يشرع

= المدني، القاهرة، ١٩٦٧.

والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (١/ ١٥٣) محمد بن علي الشوكاني، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٣٤٨هـ.

وطبقات المفسرين (٣٢٧) شمس الدين محمد بن علي الداودي، تح: علي محمد عمر، مطبعة الاستقلال، القاهرة، ١٩٧٢م.

(١) انظر: كشف الظنون، حاجي خليفة (١/ ٣٠٥) ولمحات في المكتبة، الخطيب (١٣٧) ومرجع العلوم الإسلامية، زحيلي (٢١٦) ومع المكتبة العربية، عطبة (٣٨٨).

في سرد الأحاديث المرفوعة التي تتعلق بالآية، ويبين ما يحتج به وما لا يحتج به منها، ثم يردف هذا بأقوال الصحابة والتابعين ومن يليهم من علماء السلف.

وابن كثير لا يقف مما ينقله عن السابقين موقف المسلّم، بل هو ناقد واع، وصاحب ميزان دقيق في الحكم على ما ينقله من حيث الصحةُ أو الضعفُ، وعمن ينقل عنه من حيث الجرحُ أو التعديلُ.

وهو ينبّه إلى ما في التفسير المأثور من منكرات الإسرائيليات، ويحذر منها على وجه الإجمال تارة، وعلى وجه التعيين والبيان لبعض منكراتها تارة أخرى.

ويلاحظ على ابن كثير أنه يدخل في المناقشات الفقهية، ويذكر أقوال العلماء وأدلتهم عندما يشرح آية من آيات الأحكام، ولكنه مقتصد في ذلك مقل لا يسرف كما أسرف غيره من فقهاء المفسرين.

٤ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور:

المؤلّف[١] الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر ابن محمد السيوطي الشافعي، ولد في رجب سنة ٨٤٩هـ، ختم القرآن وله من العمر ثمان سنين، وحفظ كثيراً من المتون، وأخذ عن شيوخ كثيرين، وكان أحفظ أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه، توفي في جمادى الأولى سنة ٩١١هـ، وله مؤلفات كثيرة ومشهورة، منها: **(الإتقان)** و**(الأشباه والنظائر)**

---

(١) انظر: الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة، (١/ ٢٢٦)، نجم الدين الغزي، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٤٩م، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٤/ ٦٥) السخاوي، طبعة مصر، ١٣٥٥هـ.
وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، (٨/ ٥١)، عبد الحي بن العماد الحنبلي، طبعة القدسي، القاهرة، ١٣٥٠هـ.
وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، (١/ ٣٣٥) جلال الدين السيوطي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٦٧م.

و(الإكليل في استنباط التنـزيل) و(تفسير الجلالين) و(الدر المنثور في التفسير بالمأثور).

الكتاب[١]:

عرف الجلال السيوطي نفسه بهذا التفسير، فقال[٢]:

(وقد جمعت كتاباً مسنداً فيه تفاسير النبي ﷺ، فيه بضعة عشر ألف حديث ما بين مرفوع، وموقوف، وقد تم ولله الحمد في أربع مجلدات، وسميته ترجمان القرآن).

وأشار السيوطي في الدر المنثور أنه قد اختصر كتابه (ترجمان القرآن)، وحذف الأسانيد مخافة الملل وسمى هذا المختصر (الدر المنثور في التفسير المأثور). وقد جمع السيوطي في الدر المنثور الروايات عن السلف في التفسير بدون أن يعقب عليها، فلا يعدل ولا يجرح، ولا يضعف ولا يصحح، فهو كتاب جامع فقط لما يروى عن السلف في التفسير.

والسيوطي رجل مغرم بالجمع وكثرة الرواية، **وهو لم يتحر الصحة فيما جمع في هذا التفسير**، وإنما خلط فيه بين الصحيح والعليل.

ويعد الدر المنثور الكتاب الوحيد الذي اقتصر على التفسير المأثور، فلم يخلط بالروايات التي نقلها شيئاً من عمل الرأي.

٥ ـ أحكام القرآن للبيهقي:

المؤلف: مادة الكتاب هي أحكام مستنبطة من آيات القرآن الكريم، لمحمد بن إدريس الشافعي، جمعها أحمد بن الحسيني البيهقي الإمام،

---

(١) انظر: كشف الظنون، حاجي خليفة، (١/ ٤٨٠) ولمحات في المكتبة، الخطيب (١٣٨) ومرجع العلوم الإسلامية، الزحيلي (٢١٧).

(٢) الإتقان، السيوطي (٢/ ١٨٣).

المولود سنة ٣٨٤هـ، والمتوفى سنة ٤٥٨هـ، بعد حوالي قرنين ونصف من حياة الشافعي.

الكتاب[1]:

تم جمع هذا الكتاب من نصوص الإمام الشافعي التي تتبعها البيهقي في كتب الشافعي نفسه، وفي كتب أصحابه من أمثال المزني والبويطي والربيع الجيزي والربيع المرادي وحرملة والزعفراني وأبي ثور وأبي عبد الرحمن وغيرهم.

وقد نقل هذه النصوص كما هي مع تأييد المعاني المستنبطة بالسنن الواردة، وقامت خطته على إيراد كلام الشافعي بنصه إذا كان موفياً بالغرض دون إطناب، أما إذا كان كلامه مطولاً وكان الاستشهاد بالآيات غزيراً، فإنه كان يعرض آراء الإمام الشافعي بشيء من الإيجاز وبقليل من الاستشهاد.

لم يلتزم البيهقي إيراد الأحكام بحسب ترتيب الآيات في السورة، والسور في القرآن، ولعل السبب أنه جمع آراء الإمام الشافعي، وهي لم ترتب أصلاً على هذا الأساس.



---

(١) انظر: مع المكتبة العربية، عبد الرحمن عطبة (٣٧١).

المبحث الثاني
التفسير بالرأي ـ الجائز ـ
دراسة تحليلية نقدية

تعريف التفسير بالرأي.

موقف العلماء من التفسير بالرأي.

العلوم التي يحتاج إليها المفسر.

شروط المفسر وآدابه.

منهج التفسير بالرأي.

أشهر كتب التفسير بالرأي وآراء العلماء فيها.

تعريفه(١):

هو تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر.

موقف العلماء من التفسير بالرأي :

الفريق الأول: المانعون(٢)

تشدد فريق من العلماء فلم يجرؤوا على تفسير شيء من القرآن، ولم يبيحوا لأحد تفسير شيء من القرآن، وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة، والفقه، والنحو، والأخبار، والآثار، وإنما له أن ينتهي إلى ما روي عن النبي ﷺ، وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة رضي الله عنهم، أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين.

أدلة المانعين:

١ ـ التفسير بالرأي قول على الله بغير علم، وذلك منهي عنه لقوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] ولقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وذلك أن المفسر بالرأي ليس على يقين بأنه أصاب ما أراد اللهُ تعالى، ولا يمكنه أن يقطع بما يقول، وغاية الأمر أنه يقول بالظن، والقول بالظن قول على الله بغير علم.

---

(١) انظر: أصول التفسير وقواعده، العك، (١٦٧).

(٢) انظر: التفسير والمفسرون، الذهبي، (١/٢٥٦)، وأصول التفسير، العك، (١٦٨)، وعلوم القرآن الكريم، نور الدين عتر (٨٥) وما بعدها.

٢ ـ استدلوا بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

فقد أضاف بيان القرآن إلى الرسول الكريم ﷺ، فعلم أنه ليس لغيره ﷺ شيء من البيان لمعاني القرآن.

٣ ـ استدلوا بما ورد في السنة من تحريم القول في القرآن بالرأي، فمن ذلك:

أ ـ قوله ﷺ: **«اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»**(١).

ب ـ قوله ﷺ: **«من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»**.

٤ ـ ما ورد عن السلف من الصحابة والتابعين، من الآثار التي تدل على أنهم كانوا يعظمون تفسير القرآن ويتحرجون من القول فيه بآرائهم.

الفريق الثاني: المجيزون(٢)

لم ير بعض العلماء بأساً من أن يفسروا القرآن باجتهادهم، ورأوا أن من كان ذا أدب وسيع فمسموح له أن يفسر القرآن برأيه واجتهاده.

أدلة المجيزين:

١ ـ وردت نصوص كثيرة في القرآن تنص على أن المراد منها حث العباد على تدبّره والاعتبار بآياته والاتعاظ بعظاته، منها قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]. وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩].

٢ ـ لو كان التفسير بالرأي غير جائز لما كان الاجتهاد جائزاً، ولتعطلت

---

(١) الترمذي في التفسير.

(٢) التفسير والمفسرون، الذهبي (١/ ٢٦١) وأصول التفسير، العك (١٦٩)، وعلوم القرآن، عتر (٨٦).

كثير من الأحكام، وهذا باطل، لأن الاجتهاد حاصل ومأمور به لاستنباط الأحكام الشرعية، والمجتهد في حكم الشرع مأجور أصاب أم أخطأ.

٣ ـ ثبت أن الصحابة رضي الله عنهم قرؤوا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه، ومعلوم أنهم لم يسمعوا كل ما قالوه في تفسيرهم من النبي ﷺ، إذ إنَّه ﷺ لم يبين لهم كل معاني القرآن بل بين لهم بعض معانيه، وبعضه الآخر توصلوا إليه بعقولهم واجتهادهم، ولو كان القول بالرأي في القرآن محظوراً لكان الصحابة قد خالفوا ووقعوا فيما حرم الله، ونحن ننزه الصحابة من المخالفة والجرأة على محارم الله تعالى.

٤ ـ دعا النبي ﷺ لابن عباس، فقال في دعائه له: «**اللهم فقهه في الدين وعلِّمه التأويل**» فلو كان التأويل مقصوراً على السماع والنقل كالتنزيل لما كان هناك فائدة لتخصيص ابن عباس بهذا الدعاء.

وذكر بعض المحققين: **أن المَذْهَبين هما الغلو والتقصير، فمن اقتصر على المنقول إليه فقد ترك كثيراً مما يحتاج إليه، ومن أجاز لكل أحد الخوض فيه عرضه للتخليط، ولم يعتبر حقيقة قوله تعالى:** ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩].

العلوم التي يحتاج إليها المفسّر(١):

١ ـ علم اللغة.

٢ ـ علم النحو.

٣ ـ علم الصرف.

٤ ـ علم الاشتقاق.

٥ ـ علم البلاغة (المعاني، البيان، البديع).

٦ ـ علم القراءات.

---

(١) انظر: الإتقان، السيوطي (٢/ ١٨٠)، وعلوم القرآن، عتر (٨٧).

٧ ـ علم أصول الدين.

٨ ـ علم أصول الفقه.

٩ ـ علم أسباب النزول.

١٠ ـ علم القصص.

١١ ـ علم الناسخ والمنسوخ.

١٢ ـ الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم.

١٣ ـ علم الموهبة، وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم.

١٤ ـ الإلمام بمسَلَّمات العلوم الحديثة.

شروط المفسر وآدابه(١):

من أراد تفسير كتاب الله تعالى فعليه بما يلي:

١ ـ أن يطلب التفسير أولاً من القرآن الكريم نفسه، فما أجمل في موضع فصل في موضع آخر، وما أطلق في مكان فقد قيد في مكان آخر.

٢ ـ ثم يطلب التفسير من السنة، فإن لم يجد رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح.

٣ ـ ومن شروط المفسر أن تتوافر عنده صحة الاعتقاد.

٤ ـ وأن يكون ملتزماً بدين الله، فإن من كان متهماً في دينه لا يؤتمن على الدنيا فكيف على الدين، وكيف يؤتمن في الإخبار عن مراد الله تعالى، ثم إنه لا يؤمن إن كان متهماً بالإلحاد أن يبغي الفتنة ويغري الناس.

وإن كان متهماً بهوى، لم يؤمن أن يحمله هواه لما يوافق بدعته.

٥ ـ أن تتوافر في المفسر صحة المقصد فيما يقول، وإنما يخلص له القصد إذا زهد في الدنيا.

---

(١) انظر: الإتقان، السيوطي (٢/ ١٧٥).

٦ ـ أن يكون ممتلئاً من عدة الإعراب لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام.

منهج التفسير بالرأي[١]:

إنَّ المفسّر برأيه لا بد له أن يأخذ حذره، وأن يتذرع بكل العلوم التي ينبغي على المفسر أن يتعلمها ويلم بها، ليكون قد أصاب المراد أو كاد، ويجب عليه أن ينهج منهج الصواب والسداد، باتباع ما يلي:

١ ـ **أن يطلب المعنى من القرآن الكريم**، فإن لم يجده طلبه من السنة، لأنها شارحة للقرآن، فإن أعياه الطلب رجع إلى قول الصحابة، فإنهم أدرى بالتنـزيل وظروفه، وأسباب نـزوله.

٢ ـ **إن لم يظفر بالمعنى في الكتاب والسنة ومأثورات الصحابة**، وجب عليه أن يجتهد وسعه متبعاً ما يأتي:

أ ـ البدء بما يتعلق بالألفاظ المفردة من اللغة والصرف والاشتقاق، ملاحظاً المعاني التي كانت مستعملة زمن نزول القرآن الكريم.

ب ـ إرداف ذلك الكلام على التراكيب من جهة الإعراب والبلاغة، على أن يتذوق ذلك بحاسته البيانية.

جـ ـ تقديم المعنى الحقيقي على المجازي، بحيث لا يُصار إلى المجاز إلا إذا تعذرت الحقيقة.

د ـ ملاحظة سبب النـزول والبحث عن صحته لئلا تبنى المعاني على أسباب لا أصل لها.

هـ ـ مراعاة التناسب بين السابق واللاحق، بين فقرات الآية الواحدة، وبين الآيات بعضها وبعض.

و ـ مراعاة المقصود من سياق الكلام.

---

(١) انظر: مناهل العرفان، الزرقاني (٢/ ٦٧).

ز ـ مطابقة التفسير للمفسر من غير نقص ولا زيادة.

حـ ـ مطابقة التفسير لما هو معروف من علوم الكون، وسنن الاجتماع، وتاريخ البشر العام، وتاريخ العرب الخاص أيام نزول القرآن.

ط ـ مطابقة التفسير لما كان عليه النبي ﷺ في هديه وسيرته.

ي ـ على المفسر أن يتجنب ادعاء التكرار في القرآن ما أمكن لأن لكل آية حكمتها في موضعها وكل تكرار يفيد معنىً جديداً في سياقه، وعليه أيضاً أن يتجنب كل ما يعتبر من قبيل الحشو في التفسير، كالخوض في ذكر علل النحو، ودلائل مسائل أصول الفقه ودلائل مسائل الفقه، ودلائل مسائل أصول الدين، وإنما يؤخذ ذلك مسلماً في علم التفسير دون استدلال عليه.

وكذلك على المفسر أن يتجنب ذكر ما لا يصح من أسباب النزول وأحاديث الفضائل، والقصص الموضوع، والأخبار الإسرائيلية، فإن هذا مما يذهب بجمال القرآن ويشغل الناس عن التدبر والاعتبار.

ك ـ على المفسر بعد كل هذا أن يكون يقظاً فطناً، عليماً بقانون الترجيح حتى إذا ما كانت الآية محتملة لأكثر من وجه أمكنه أن يرجح ويختار.

أشهر كتب التفسير بالرأي وآراء العلماء فيها

١ ــ الكشاف عن حقائق التنـــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل[1]:

مؤلفه: أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري، الملقب بجار الله، ت: ٥٣٨هـ، وهو أشهر تفاسير المعتزلة الذي أبان فيه المؤلف وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، وذلك لإلمامه باللغة العربية، ومعرفته بأشعار العرب، وإحاطته بعلوم البلاغة والبيان والإعراب والأدب.

(١) انظر: كشف الظنون، خليفة (٢/ ٣٠٩) ولمحات في المكتبة، الخطيب (١٣٩) ومرجع العلوم الإسلامية، زحيلي، (٢٠٨).

الكتاب: انتشر الكتاب في الآفاق، واعترف الجميع بفضله، وغزارة علمه، وبراعته، وحسن الصناعة فيه، حتى إن الزمخشري قال فيه، تحدثاً بنعمة الله وفضله عليه:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشافي
إن كنت تبغي الهدى فالْزَمْ قراءته فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

وكان الكشاف أول تفسير يكشف عن سر بلاغة القرآن ووجوه إعجازه ودقة معانيه في ألفاظه، مما كان له الأثر الكبير في عجز العرب عن معارضته والإتيان بمثله.

وذكر الزمخشري فيه الشواهد العربية التي وصلت إلى ألف بيت، واهتم بالإعراب والنحو، وتعرض باختصار شديد إلى المسائل الفقهية في آيات الأحكام، وبيَّنها باعتدال وعدم تعصب لمذهبه الحنفي.

وقد أورد الزمخشري في تفسيره الكثير من مبادئ المعتزلة وانتصر فيها لمذهبه، وحاول جهده أن يتذرع بالمعاني اللغوية لذلك، وأيد عقائد المعتزلة بكل ما يملك من قوة الحجة، وسلطان الدليل، وعرض أحياناً لبعض الروايات الإسرائيلية، مصدِّراً لها بلفظ (روي) الذي يشعر بضعف الرواية وبعدها عن الصحة، أو يفوض العلم بها إلى الله تعالى، إذا كان التصديق بها لا يمس الدين والعقيدة.

وقد ختم الزمخشري كل سورة بحديث يبين فضلها وثواب قارئها، وقد كان ذلك مستغرباً من عالم مثله، إذ أغلب هذه الأحاديث شديد الضعيف أو موضوع.

وقد تكلم على هذا التفسير كثير من العلماء بالتقريظ والمدح، أو للتحذير من المسائل الاعتزالية فيه، مثل (الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال) للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري.

وقد قيل: إن الزمخشري قد رجع عن اعتزاله بعد تأليفه الكشاف واعتذر عن كل ما ورد فيه من الاعتزال.

ومهما يكن من أمر فإن الكشاف ـ بغض النظر عما ورد فيه من الاعتزال ـ يأتي في قمة كتب التفسير وأنفعها من حيث اللغة العربية وبالذات علوم البلاغة والبيان والإعراب والأدب.

٢ ـــ مفاتيح الغيب (أو التفسير الكبير)(١):

مؤلفه: أبو عبد الله محمد بن عمر القرشي ابن خطيب الريّ، الملقب بفخر الدين الرازي ت: سنة ٦٠٦هـ، وهذا التفسير هو أكبر تفسير بالرأي والمعقول، ويذكر فيه المؤلف مناسبة السورة مع غيرها، ويذكر المناسبات بين الآيات، ويستطرد في العلوم الكونية، ويتوسع فيها، ويذكر المسائل الأصولية والنحوية والبلاغية، والاستنباطات العقلية.

الكتاب: يبين الرازي في تفسيره معاني القرآن الكريم، وإشاراته، وفيه أبحاث مطولة في شتى العلوم الإسلامية، كعلم الكلام، وأقوال الفلاسفة والحكماء، ويذكر فيه مذاهب الفقهاء وأدلتهم في آيات الأحكام، وينتصر لمذهب أهل السنة في العقيدة، ويرد على المعتزلة وأقوال الفرق الضالة، ويفند مذاهبهم، كما يرد على الفلاسفة.

وقد قيل عن الكتاب: **(الكتاب أشبه ما يكون بموسوعة في علم الكلام وفي العلوم الكونية إذ إن هذه الناحية غلبت عليه حتى كادت تقلل من أهمية الكتاب من حيث إنه تفسير للقرآن).**

٣ ـــ أنوار التنـــزيل وأسرار التأويل(٢):

مؤلفه: عبد الله بن محمد البيضاوي القاضي، ت: سنة ٦٨٥هـ.

---

(١) انظر: كشف الظنون، خليفة (٢/ ٤٧٦) ولمحات في المكتبة، الخطيب (١٤١)، ومرجع العلوم الإسلامية، زحيلي (٢١٢).

(٢) انظر: كشف الظنون، خليفة (١/ ١٦٢)، ومرجع العلوم الإسلامية، زحيلي (٢١٣).

وهو تفسير كامل للقرآن الكريم متوسط الحجم يجمع بين التفسير والتأويل على مقتضى قواعد اللغة العربية.

الكتاب: اختصره المؤلف من تفسير الكشاف للزمخشري، مع ترك ما فيه من اعتزالات، وهو يتبع كل سورة بحديث في فضلها، وما لصاحبها من ثواب، وهو ما يستغرب من عالم مثله لأن أغلب هذه الأحاديث موضوعة، فكيف اغتر بها البيضاوي ولا عذر له في ذلك مهما حاول البعض أن يعتذر عنه[١]؛ لأن هذه الاعتذارات ضعيفة تزيد الأمر سوءاً، ولا تكفي لتسويغ هذا العمل الذي لا يليق بعالم كالبيضاوي له قيمته ومكانته.

كما استمد البيضاوي تفسيره من التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي، ومن تفسير (مفردات القرآن) للراغب الأصفهاني، وضم بعض الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين، كما أنه أعمل فيه عقله.

وهو يهتم أحياناً بذكر القراءات، ولكنه لا يلتزم المتواتر منها، فيذكر الشاذ، كما أنه يعرض للصناعة النحوية بدون توسع واستفاضة.

ويتعرض عند آيات الأحكام لشيء من المسائل الفقهية باختصار شديد لا يفي بالغرض، ويميل غالباً لتأييد مذهبه الشافعي.

وهو يخوض في مباحث الكون والطبيعة عند الآيات الكونية متأثراً بالرازي، وأغلب هذه المباحث لا يتناسب مع مستوى العلوم العصرية.

كما أن البيضاوي وقع في بعض المواضع بأخطاء تمس العقيدة وتجعل القارئ يستغرب صدور مثل هذا الكلام عن عالم مثله كقوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢].

ذكر أن سبب نزول الآية هو قصة الغرانيق المكذوبة الملفقة على

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون، الذهبي (١/ ٣٠٣).

رسول الله ﷺ والتي تذكر أنه ﷺ قد مدح آلهة المشركين، وهو الذي دعا أولاً إلى التوحيد ونبذ الشرك، ثم قال: (وهو مردود عند المحققين وإن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الإيمان عن المتزلزل فيه). فوضع احتمال صحته بقوله: (إن)، ثم قال: (والآية تدل على جواز السهو على الأنبياء وتطرق الوسوسة إليهم) ثم يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ [الحج: ٥٥]:

(**يقولون: ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها**)[١] أي: الآلهة، وكأنه يثبت حقاً أن النبي ﷺ قد مدح آلهتهم بقوله: (تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى).

ولا أدري كيف غاب عن مادحي الكتاب هذا الخطأ الجسيم، وقد عظم استغرابي عندما وجدت الكثرة من المؤلفين يمدحون الكتاب والمؤلف، ويبدو أنهم يتناقلون هذا المدح دون الرجوع إلى الكتاب لمعرفة حقيقة ما جاء فيه[٢].

غير أني لا أريد أن أغمط الكتاب حقه فهو مختصر جيد لمفاتيح الغيب والكشاف، حيث يغني هذا الحجم المتوسط عن قراءة أجزاء طويلة.

٤ ـ الجامع لأحكام القرآن[٣]:

مؤلفه: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت: سنة ٦٧١هـ.

---

(١) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي (٢/ ٩٢) وما بعدها، وانظر تعليق المحقق عبد القادر العشا حسونة على هذا التفسير بالذات في هذه القصة، وانظر تفسير البيضاوي لآيات من سورة الأحزاب في زواج النبي ﷺ من زينب رضي الله عنها [الأحزاب: ٣٧]. أنوار التنزيل، البيضاوي (٢/ ٢٤٦) وما بعدها، مما لا يقبله إنسان على بشر عادي لا يعرف دين الله، فكيف يقبل على رسول الله ﷺ؟!!

(٢) سيما أولئك الذين نالوا شهادات ماجستير ودكتوراه بدراسة منهج الكتاب غير أنهم لم يشيروا حتى إشارة إلى هذه الأخطاء الواضحة، ولم يقبلوا حتى المناقشة في هذا الأمر.

(٣) انظر: لمحات في المكتبة، الخطيب (١٥٥)، ومرجع العلوم الإسلامية، زحيلي (٢٢٣).

الكتاب: من أجمع ما صنف في تفسير آيات الأحكام، قال فيه العلماء:

(هو من أجلّ التفاسير وأعظمها نفعاً، أسقط منه القصص والتواريخ وأثبت عوضها أحكام القرآن، واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ)(١).

والقرطبي في تفسيره قد حدد منهجه بأن يبين أسباب النزول، ويذكر القراءات، واللغات ووجوه الإعراب وتخريج الأحاديث، وبيان غريب الألفاظ، وتحديد أقوال الفقهاء، وجمع أقاويل السلف، ومن تبعهم من الخلف، ثم أكثر من الاستشهاد بأشعار العرب، ونقل عمن تقدمه في التفسير مع تعقيبه على ما ينقل عنه.

أضرب القرطبي عن كثير من قصص المفسرين، وأخبار المؤرخين، والإسرائيليات، و ذكر جانباً منها أحياناً مع التعليق عليها والتعقيب إن كان فيها سوءٌ، وردَّ على الفلاسفة والمعتزلة وغلاة المتصوفة وبقية الفرق.

ويذكر مذاهب الأئمة ويناقشها ويمشي مع الدليل، ولا يتعصب لمذهبه المالكي، فهو حر في بحثه، نزيه في نقده، عفيف في مناقشته خصومه، مع إلمامه الكافي بالتفسير من جميع نواحيه، وبعلوم الشريعة.

ومما يميز الكتاب عن غيره من كتب تفسير آيات الأحكام، أنه لم يقتصر على آيات الأحكام، والجانب الفقهي منها، بل ضم إليها كل ما يتعلق بالتفسير لجميع آيات القرآن الكريم.

٥ ــ مدارك التنــزيل وحقائق التأويل:

مؤلفه: هو أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي، من **مؤلفاته**: متن الوافي في الفروع، وشرحه الكافي، وكنز الدقائق في

(١) ابن فرحون في الديباج المذهب (٣١٧).

الفقه، والمنار في أصول الفقه، والعمدة في أصول الدين، ومدارك التنـزيل وحقائق التأويل، وكانت وفاة النسفي سنة: ٧٠١هـ.

الكتاب: اختصره النسفي رحمه الله من تفسير البيضاوي ومن الكشاف للزمخشري، غير أنه ترك ما في الكشاف من الاعتزالات، وجرى فيه على مذهب أهل السنة والجماعة، وهو تفسير وسط بين الطول والقصر، جمع فيه صاحبه بين وجوه الإعراب والقراءات، وضمنه ما اشتمل عليه الكشاف من النكت البلاغية، والمحسنات البديعية، والكشف عن المعاني الدقيقة الخفية، وأورد فيه ما أورده الزمخشري في تفسيره من الأسئلة والأجوبة، لكن لا على طريقته من قوله: فإن قيل...، قلت: ...بل جعل ذلك في الغالب كلاماً مدرجاً في ضمن شرحه للآية، كما أنه لم يقع فيما وقع فيه صاحب الكشاف من ذكره للأحاديث الموضوعة في فضائل السور.

ومن ناحية الإعراب نجد النسفي لا يستطرد كثيراً، كما أنه لا يزج بالتفاصيل النحوية في تفسيره كما يفعل غيره.

ولقد التزم في تفسيره القراءات السبع المتواترة مع نسبة كل قراءة إلى قارئها.

وعند تفسيره لآية من آيات الأحكام نجده يعرض للمذاهب الفقهية التي لها تعلق وارتباط بالآية، ويوجه الأقوال ولكن بدون توسع، وهو ينتصر لمذهبه الحنفي ويرد على من خالفه في كثير من الأحيان.

ومما يتسم به تفسير النسفي قلة ذكره للإسرائيليات، وما يذكره من ذلك يمر عليه دون أن يتعقبه أحياناً، وأحياناً يتعقبه ولا يرتضيه، كالقصص المروية التي تتنافى مع عصمة الأنبياء فإنه يرفضها ولا يرتضيها، ولعله يرى أن كل ما يمس العقيدة من هذا القصص يجب التنبيه على عدم صحته، وما لا يمس العقيدة فلا مانع من روايته دون تعقيب عليه، ما دام يحتمل الصدق والكذب في ذاته، ولا يتنافى مع العقل أو يتصادم مع الشرع.

٦ ـ لباب التأويل في معاني التنــزيل:

مؤلفه: علاء الدين، أبو الحسن، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشيحي[1]، البغدادي، الشافعي، الصوفي، المعروف بالخازن، اشتهر بذلك، لأنه كان خازن كتب خانقاه السميساطية بدمشق.

ولد ببغداد سنة ٦٧٨هـ، وتوفي سنة ٧٤١هـ.

الكتاب: اختصره مؤلفه من معالم التنـزيل للبغوي، وضم إليه ما نقله ولخصه من تفاسير من تقدم عليه، وليس له فيه ـ كما يقول ـ سوى النقل والانتخاب، مع حذف الأسانيد وتجنب التطويل والإسهاب.

وهو مكثر من رواية التفسير المأثور إلى حدٍّ ما، ويعتني بتقرير الأحكام وأدلتها، والكتاب مملوء بالأخبار التاريخية، والقصص الإسرائيلي الذي لا يكاد يسلم كثير منه أمام ميزان العلم الصحيح والعقل السليم، فهو يتوسع في ذكر القصص الإسرائيلي وكثيراً ما ينقل ما جاء من ذلك عن بعض التفاسير التي تعنى بهذه الناحية.

وهو في الغالب لا يعقب على ما يذكر من القصص الإسرائيلي، ولا ينظر إليه بعين الناقد البصير، إلا في مواضع قليلة جداً نادرة يبين خلالها ضعف القصة وكذبها.

كذلك فهو يفيض في ذكر الغزوات التي كانت على عهد النبي ﷺ، وأشار إليها القرآن.

ويعنى بالناحية الفقهية، ويذكر مذاهب الفقهاء وأدلتهم، وقد أقحم في التفسير فروعاً فقهية كثيرة، قد لا تهم المفسر بوصفه مفسراً في قليل ولا كثير.

---

(١) نسبة إلى شيحة بلدة في حلب، وحلب من المدن السورية.

ثم إن هذا التفسير كثيراً ما يتعرض للمواعظ والرقاق، ويسوق أحاديث الترغيب والترهيب.

وهكذا نجد أن (لباب التأويل) يطرق موضوعات كثيرة في نواح من العلم مختلفة، ولكن شهرته القصصية، وسمعته الإسرائيلية أساءت إليه كثيراً، وكادت تصد الناس عن الرجوع إليه والتعويل عليه.

٧ ـ البحر المحيط لأبي حيان:

مؤلفه: أثير الدين، أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان، الأندلسي، الغرناطي، الحياني، الشافعي، الشهير بأبي حيان، المولود سنة: ٦٥٤هـ.

كان ملمّاً بالقراءات صحيحها وشاذها، قال فيه الصفدي: (لم أره قطُّ إلا يسمع أو يشتغل، أو يكتب، أو ينظر في كتاب، ولم أره على غير ذلك).

وكذلك عُرف أبو حيان بكثرة نظمه للأشعار، والموشحات، كما كان على جانب كبير من المعرفة باللغة والنحو والتصريف، وكانت له اليد الطولى في التفسير، والحديث، وتراجم الرجال ومعرفة طبقاتهم.

وأما مؤلفاته فكثيرة، ومن أهمها: تفسير البحر المحيط الذي نحن بصدده، وغريب القرآن، وشرح التسهيل، ونهاية الإعراب، وخلاصة البيان، وله منظومة على وزن الشاطبية في القراءات.

كانت وفاته بمصر سنة ٧٤٥ هـ.

الكتاب: يعدُّ هذا التفسير المرجع الأول والأهم لمن يريد أن يقف على وجوه الإعراب لألفاظ القرآن الكريم إذ إن هذه الناحية هي أبرز ما فيه من البحوث التي تدور حول آيات الكتاب العزيز.

وهو وإن غلبت عليه الصناعة النحوية في تفسيره إلا أنه مع ذلك لم يهمل ما عداها من النواحي التي لها اتصال بالتفسير، فنراه يتكلم عن المعاني اللغوية للمفردات ويذكر أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات الواردة

مع توجيهها، كما أنه لا يغفل الناحية البلاغية في القرآن، والأحكام الفقهية عندما يمر بآيات الأحكام مع ذكره لما جاء عن السلف ومن تقدمه من الخلف في ذلك، كل هذا على طريقةٍ وَضَعها لنفسه ومشى عليها في كتابه وأشار إليها في مقدمته.

وهو ينقل في تفسيره كثيراً من تفسير الزمخشري وتفسير ابن عطية، كما أنه يتعقبهما كثيراً بالرد والتفنيد لما قالاه في مسائل النحو على الخصوص.

وإن أبا حيان يعتمد في أكثر نقول كتابه هذا على كتاب (التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير) من جمع شيخه جمال الدين أبي عبد الله المعروف بابن النقيب، ومع اعتماده على هذا التفسير نجده يصفه بكثرة التكرير وقلة التحرير، كما نجده لا يرضى عما أُولع به مؤلفه من كثرة النقول عن غُلاة الصوفية فيضرب عنها صَفْحاً.

٨ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان:

مؤلفه: نظام الدين بن الحسن بن محمد بن الحسين الخراساني، النيسابوري، أصله وموطن أهله وعشيرته مدينة قم، وكان منشؤه وموطنه بديار نيسابور، كان رحمه الله ملمّاً بالعلوم العقلية، جامعاً لفنون اللغة العربية، له القدم الراسخة في صناعة الإنشاء، والمعرفة الوافرة بعلم التأويل والتفسير، وهو من كبار الحفاظ والمقرئين.

مؤلفاته: شرحه على متن الشافية في فن الصرف للإمام ابن الحاجب، وهو معروف بشرح النظام، وشرحه على تذكرة الطوسي في علم الهيئة، وهو المسمى بـ (توضيح التذكرة)، ورسائل في علم الحساب، وتفسيره لكتاب الله تعالى المعروف بـ (غرائب القرآن ورغائب الفرقان).

وتاريخ وفاته مجهول، قال صاحب روضات الجنات: (كان من علماء رأس المئة التاسعة).

الكتاب: اختصر النيسابوري تفسيره هذا من التفسير الكبير للفخر

الرازي، وضمّ إلى ذلك بعض ما جاء في الكشاف وغيره من التفاسير، وما فتح الله به عليه من الفهم لمحكم كتابه، وضمّنه ما ثبت لديه من تفاسير سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ولكنه عندما يقتبس من تفسير الرازي أو الكشاف أو غيره نجده حراً في تفكيره، متصرّفاً فيما يقتبس أو يختصر، فإن وجد فساداً نبّه عليه وأصلحه، وإن رأى نقصاً تداركه فأتمّه وأكمله.

وقد سلك في تفسيره مسلكاً قد يكون منفرداً به من بين المفسرين؛ ذلك أنه يذكر الآيات القرآنية أولاً، ثم يذكر القراءات مع التزامه ألا يذكر إلا ما كان منها منسوباً إلى الأئمة العشرة، وإضافة كل منها إلى صاحبها، ثم بعد ذلك يذكر الوقوف مع التعليل لكل وقف منها، ثم يشرع في التفسير مبتدئاً بذكر المناسبة، ثم يبين معاني الآيات مظهراً للمضمرات، ومبرزاً للمقدّرات، ويضم إلى ذلك تأويل المتشابهات وتصريح الكنايات، وتحقيق المجاز والاستعارات وتفصيل المذاهب الفقهية.

وتراه يخوض في المسائل الكلامية، فيذكر مذهب أهل السنة ومذهب غيرهم، مع ذكره لأدلة كل مذهب، وانتصاره لمذهب أهل السنة وتأييده له.

وكان من منهج النيسابوري في تفسيره أنه لا يمر على آية من الآيات الكونية دون أن يخوض بأسرار الكون وكلام الطبيعيين والفلاسفة.

وبعد أن يفرغ من تفسير الآية يتكلم عن التأويل، وهو عبارة عن التفسيرات الإشارية للآيات القرآنية ولا سيما أن النيسابوري كان صوفياً كبيراً، فأفاض من روحه الصوفية الصافية على تفسيره، فنراه لذلك يستطرد أثناء التفسير إلى كثير من المواعظ المبكيات، والحكم الغاليات، كما نراه في تأويله الإشاري يمثل الفلسفة الصوفية بأعلى أنواعها.

٩ ـ تفسير الجلالين:

مؤلفاه: ألف هذا التفسير الإمامان الجليلان جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، وقد سبق التعريف بالسيوطي عند الحديث عن كتابه

(الدر المنثور) وأمّا جلال الدين المحلي، فهو: جلال الدين محمد بن أحمد ابن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي، ولد بمصر سنة ٧٩٧هـ، واشتغل وبرع في الفنون فقهاً وكلاماً، وأصولاً ونحواً، ومنطقاً وغيرها، وكان آية في الذكاء والفهم.

وكان غرَّة عصره في سلوك طريق السلف، على مبلغ عظيم من الصلاح والورع، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، لا تأخذه في الحق لومة لائم.

من مؤلفاته: شرح جمع الجوامع في الأصول، وشرح المنهاج في فقه الشافعية، وشرح الورقات في الأصول.

توفي رحمه الله في أول يوم من سنة ٨٦٤هـ.

الكتاب: ابتدأ جلال الدين المحلي تفسيره من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الناس، ثم ابتدأ بتفسير الفاتحة، وبعد أن أتمها توفي فلم يفسر ما بعدها، فجاء بعده السيوطي فابتدأ بتفسير سورة البقرة، وانتهى عند آخر سورة الإسراء، ووضع تفسير الفاتحة في آخر تفسير الجلال المحلي؛ لتكون ملحقة به، وهذا ما أثبته السيوطي نفسه في مقدمة هذا التفسير، وقبل الكلام على سورة البقرة يقول: (هذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي رحمه الله، وتتميم ما فاته من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الإسراء).

ويقول في آخر سورة الإسراء ما نصه: **(قال مؤلفه: هذا آخر ما كمّلت به تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الشيخ الإمام العالم العلامة، المحقق جلال الدين المحلي الشافعي رضي الله عنه).**

وقد نهج السيوطي في تفسيره منهج المحلي من ذكر ما يفهم من كلام الله تعالى، والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه، والتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية، وأعاريب محلها كتب العربية.

ولا شك أن الذي يقرأ تفسير الجلالين لا يكاد يلمس فرقاً واضحاً بين طريقة الشيخين فيما فسراه، ولا يكاد يشعر بمخالفة بينهما في ناحية من نواحي التفسير المختلفة، اللهم إلا في مواضع قليلة لا تبلغ العشرة كما قيل.

والكتاب قيم في بابه، كثير التداول والانتشار، مع احتوائه في بعض المواضع على إسرائيليات قد تكون خطيرة أحياناً. وقد ظفر بكثير من تعليقات العلماء وحواشيهم عليه، ومن أهم هذه الحواشي: حاشية الجمل، وحاشية الصاوي.

١٠ ـ السراج المنير:

مؤلفه: الإمام العلامة شمس الدين محمد بن محمد الشربيني، القاهري، الشافعي، الخطيب.

كان رحمه الله على جانب عظيم من الصلاح والورع، توفي في عصر يوم الخميس ثاني شعبان، سنة ٩٧٧هـ.

من أهم مؤلفاته: شرحه لكتاب منهاج الطالبين وكتاب التنبيه.

الكتاب: هو كتاب متوسط ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخلِّ، اقتصر فيه على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه عند السؤال، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية وأعاريب محلها كتب العربية، وما ذكره فيه من القراءات فهو من السبع المشهورات، وهو سهل المأخذ ممتع العبارة.

ومما نلحظه في هذا التفسير أنه يورد بعض النكت التفسيرية، وبعض الإشكالات والإجابة عنها تارة بقوله: تنبيه، وتارة بقوله: فإن قيل كذا، أجيب بكذا.

كما أنه شديد العناية بذكر المناسبات بين آيات القرآن، عظيم الاهتمام بتقرير الأدلة وتوجيهها.

كما أننا نلاحظ عليه أنه يستطرد إلى ذكر الأحكام الفقهية، ومذاهب

العلماء وأدلتهم، وإن كان مقلاً في هذه الناحية، إذ لا يتوسع ولا يكثر من ذكر الفروع.

هذا، ولم يخْلُ تفسير الخطيب من ذكر بعض القصص الإسرائيلي الغريب، وذلك بدون أن يتعقبه بالتصحيح أو التضعيف، ولكنه إن مر على مثل هذه القصص بدون أن يعقب عليها، لا يرضى لنفسه أن يمر على قصة فيها ما يخل بمقام النبوة إلا بعد أن يعقب عليها بما يظهر بطلانها وعدم صحتها.

ولا يفوتنا أن الخطيب الشربيني كثيراً ما يعتمد على التفسير الكبير للفخر الرازي، والذي يقرأ في تفسيره هذا يجد أنه يكثر من النقول عنه.

١١ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:

مؤلفه: أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى، العمادي، الحنفي، المولود سنة ٨٩٣هـ بقرية قريبة من القسطنطينية، وهو من بيت عرف أهله بالعلم والفضل، قرأ كثيراً من كتب العلم على والده، وتتلمذ لكثير من جلة العلماء، فاستفاد منهم علماً جماً، وتولى التدريس في كثير من المدارس التركية، ثم قُلّد القضاء لمدة من الزمن، ثم تولى أمر الفتوى بعد ذلك، فقام بها خير قيام بعد أن اضطرب أمرها بانتقالها من يد إلى يد، ومكث في منصب الإفتاء نحواً من ثلاثين سنة أظهر فيها الدقة العلمية التامة، والبراعة في الفتوى والتفنن فيها.

توفي رحمه الله بمدينة القسطنطينية، ودفن بجوار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وذلك في أوائل جمادى الأولى سنة ٩٨٢هـ.

الكتاب: هو تفسير حسن، ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، متضمن لطائف ونكات، ومشتمل على فوائد وإشارات، حسن السبك صادق التعبير.

ولم يظفر هذا التفسير كغيره من التفاسير بكثرة الحواشي والتعليقات التي تكشف عن مراده أو تتعقبه في بعض ما يقول.

يعتمد أبو السعود في تفسيره على تفسير الكشاف والبيضاوي وغيرهما ممن تقدمه، غير أنه لم يغتر بما جاء في الكشاف من الاعتزالات، ولهذا لم يذكرها إلا على جهة التحذير منها، مع جريانه على مذهب أهل السنة في تفسيره، ولكنه وقع فيما وقع فيه صاحب الكشاف، وصاحب أنوار التنـزيل من أنه ذكر في آخر كل سورة حديثاً عن النبي ﷺ في فضلها، وما لقارئها من الثواب والأجر عند الله تعالى، مع أن أغلب هذه الأحاديث موضوعة باتفاق أهل العلم جميعاً.

وأبو السعود في تفسيره كثير العناية بسبك العبارة وصوغها، مولع كل الولع بالناحية البلاغية للقرآن، فهو يهتم بأن يكشف عن نواحي القرآن البلاغية، وسر إعجازه في نظمه وأسلوبه، كما أنه يهتم بإبداء المعاني الدقيقة التي تحملها التراكيب القرآنية بين طياتها، مما لا يكاد يظهر إلا لمن أوتي حظاً وافراً من المعرفة بدقائق اللغة العربية.

وهو أيضاً كثيراً ما يهتم بإبداء وجوه المناسبات بين الآيات، ويعرض أحياناً لذكر القراءات، ولكن بقدر ما يوضح به المعنى، ولا يتوسع بذلك كما يتوسع غيره.

ومن ناحية أخرى فأبو السعود مقل في سرد الإسرائيليات، غير مولع بذكرها وإن ذكرها أحياناً فإنه لا يذكرها على سبيل الجزم بها، بل يصدِّر ذكر الرواية بقوله: روي، أو قيل، مما يشعر بضعفها، وإن كان لا يعقب عليها بعد ذلك، كما أنه يروي بعض القصص عن طريق الكلبي عن أبي صالح، مع العلم أن الكلبي متهم بالكذب إلا أنه يقول بعد سرد تلك القصص: (والله تعالى أعلم)، وهذا يشعر بأنه يشك في صدقها وصحتها.

كذلك فإن أبا السعود يتعرض في تفسيره لبعض المسائل الفقهية ولكنه مقل جداً، ولا يكاد يدخل في المناقشات الفقهية والأدلة المذهبية.

كما يعرض أحياناً للناحية النحوية إذا كانت الآية تحتمل أوجهاً من الإعراب، وينـزل الآية على اختلاف الأعاريب، ويرجح واحداً منها ويدلل على رجحانه.

١٢ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:

مؤلفه: محمود بن عبد الله الآلوسي، البغدادي، ولد سنة ١٢١٧هـ، في جانب الكرخ من بغداد، وتوفي سنة ١٢٧٠هـ.

كان ـ رحمه الله ـ شيخ العلماء في العراق، جمع كثيراً من العلوم حتى أصبح علامة في المنقول والمعقول، فهامة في الفروع والأصول، محدثاً ومفسراً لكتاب الله.

أخذ العلم عن فحول العلماء، ومنهم والده العلامة عبد الله، والشيخ خالد النقشبندي، وكان رحمه الله غاية في الحِرص على تزايد علمه، وتوفير نصيبه منه، اشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ودرس في عدة مدارس، وعندما قُلّد إفتاء الحنفية سنة ١٢٤٨هـ، شرع يدرس سائر العلوم، وقد تتلمذ له وأخذ عنه خلق كثير، وتخرج عليه جماعات من الفضلاء من بلاد مختلفة كثيرة، وكان ذا حافظة عجيبة وفكرة غريبة.

وكان رحمه الله عالماً باختلاف المذاهب، مطلعاً على الملل والنحل، سلفي الاعتقاد، شافعي المذهب، إلا أنه في كثير من المسائل يقلد الإمام الأعظم أبا حنيفة النعمان، رضي الله عنه، ولقد خلف ثروة علمية كبيرة، فمن ذلك تفسيره لكتاب الله، وشرح السُلَّم في المنطق، وقد فُقد، ومنها: درة الغواص في أوهام الخوّاص، والنفحات القدسية في المباحث الإمامية.

الكتاب: هذا التفسير جامع لخلاصة كل ما سبقه من التفاسير، فهو ينقل عن ابن عطية، وأبي حيان، والكشاف، وأبي السعود، والبيضاوي، والفخر الرازي، وغيرها من كتب التفسير المعتبرة، وهو إذ ينقل عن هذه التفاسير

ينصب نفسه حكماً عدلاً بينها، ويجعل من نفسه نقّاداً مدققاً، ثم يبدي رأيه حراً فيما ينقل، وكثيراً ما نراه يفند آراء المذاهب المخالفة لمذهبه.

ومما يلاحظ أن الآلوسي في تفسيره يستطرد إلى الكلام في الأمور الكونية، ويذكر كلام أهل الهيئة وأهل الحكمة، ويقر منه ما يرتضيه، ويفند ما لا يرتضيه كذلك يستطرد إلى الكلام في الصناعة النحوية، ويتوسع في ذلك أحياناً إلى حد يكاد يخرج به عن كونه مفسراً.

وهو إذا تكلم عن آيات الأحكام، فإنه لا يمر عليها إلا إذا استوفى مذاهب الفقهاء وأدلتهم مع تعصب واضح في بعض المواضع لمذهبه، وتضعيف للمذاهب الأخرى بأسلوب يكاد أحياناً لا يناسب عالماً مثل الآلوسي.

أما بالنسبة للإسرائيليات فهو شديد النقد لها وللأخبار المكذوبة التي حشا بها كثير من المفسرين تفاسيرهم وظنوها صحيحة، مع سخرية منهم أحياناً.

أما القراءات فهو يعرض لذكرها، ولكنه لا يتقيد بالمتواتر منها، كما أنه يعنى بإظهار وجه المناسبات بين السور كما يعنى بذكر المناسبات بين الآيات ويذكر أسباب النزول للآيات التي أنزلت على سبب، وهو كثير الاستشهاد بأشعار العرب على ما يذهب إليه من المعاني اللغوية.

ولم يفت الآلوسي أن يتكلم عن التفسير الإشاري بعد أن يفرغ من الكلام عن كل ما يتعلق بظاهر الآيات.

وجملة القول: إن روح المعاني للعلامة الآلوسي هو موسوعة تفسيرية قيمة، جمعت جل ما قاله علماء التفسير الذين تقدموا عليه، مع النقد الحر والترجيح الذي يعتمد على قوة الذهن، وصفاء القريحة، وهو وإن كان يستطرد إلى نواح علمية مختلفة، مع توسع يكاد يخرجه عن مهمته كمفسر إلا أن ذلك يشهد له بغزارة العلم على اختلاف نواحيه، وشمول الإحاطة بكل ما يتكلم فيه.

المبحث الثالث

التفسير بالرأي ـ المنحرف ـ

دراسة تحليلية نقدية

تمهيد.

غلو بعض الطوائف وابتداع أقوال تخرجهم عن الإسلام.

نماذج من التفاسير الباطلة.

نماذج من كتب التفسير بالرأي المذموم ورأي العلماء فيها.

تمهيد

جرى التفسير منذ زمن النبوة إلى زمن أتباع التابعين على طريقة تكاد تكون واحدة، فخَلَفُ كلِّ عصرٍ يحمل التفسير عمن سَلَفَ بطريق الرواية والسماع، وفي كل عصر من هذه العصور تتجدد نظرات تفسيرية لم يكن لها وجود قبل ذلك، وهذا راجع إلى أن الناس كلما بعدوا عن عصر النبوة ازدادت نواحي الغموض في التفسير، فكان لا بد للتفسير من أن يتضخم كلما مرت عليه السنون.

لم يكن هذا التضخم في الحقيقة إلا محاولات عقلية، ونظرات اجتهادية قام بها أفراد ممن لهم عناية بهذه الناحية، غير أن هذه المحاولات والنظرات في التفسير لم تخرج عن قانون اللغة، ولم تتخط حدود الشريعة، بل ظلت محتفظة بصبغتها العقلية والدينية فلم تتجاوز دائرة الرأي المحمود إلى دائرة الرأي المذموم الذي لا يتفق وقواعد الشرع.

ظل الأمر على ذلك إلى أن قامت الفرق المختلفة، وظهرت المذاهب الدينية المتنوعة، ووجد من العلماء من يحاول نصرة مذهبه، والدفاع عن عقيدته بكل وسيلة وحيلة، وكان القرآن هو هدفهم الأول الذي يقصدون إليه جميعاً، كل يبحث في القرآن ليجد فيه ما يقوي رأيه ويؤيد مذهبه، وكلٌ واجد ما يبحث عنه ولو بطريق إخضاع الآيات القرآنية لمذهبه، والميل بها مع رأيه وهواه، وتأويل ما يصادمه منها تأويلاً يجعلها غير منافية لمذهبه ولا متعارضة معه. ومن هنا بدأ الخروج عن دائرة الرأي المحمود إلى دائرة الرأي المذموم، واستفحل الأمر إلى حد جعل القوم يتسعون في حماية عقائدهم، والترويج لمذاهبهم، بما أخرجوه للناس من تفاسير، حملوا فيها كلام الله على وفق أهوائهم، ومقتضى نزعاتهم ونحلهم.

بدأ الخلاف بين المسلمين أول ما بدأ في أمور اجتهادية لا تصل بأحد منهم إلى درجة الابتداع والكفر.

وظل الأمر على ذلك إلى زمن عثمان رضي الله عنه، وكان ما كان من خروج بعض المسلمين عليه، ومحاصرتهم لداره، وقتلهم له، فعرا المسلمين من ذلك الوقت رَجَّةٌ فكرية عنيفة طاحت بالرَّوِيَّة، وذهبت بكثير من الأفكار مذاهب شتى.

ثم أخذ هذا الخلاف والتفرق يتدرج شيئاً فشيئاً ويترقى حيناً بعد حين، ثم كان من أصحاب الديانات المختلفة كاليهودية والنصرانية، والمجوسية والصابئة، ...إلخ، من تَزَيّا بزي الإسلام وأبطن الكيد له، حنيناً إلى مِلّتهم الأولى، فأوضعوا خلال المسلمين يبغونهم الفتنة، ويرجون لهم الفرقة، فنجحوا فيما قصدوا إليه من تحزب المسلمين وتفرقهم.

وفي خلال ذلك غلا بعض الطوائف التي ولدها الخلاف فابتدعوا أقوالاً خرجت بهم عن دائرة الإسلام، كالقائلين بالحلول والتناسخ من السبئية، وكالباطنية الذين لا يعدون من فرق الإسلام وإنما هم في الحقيقة على دين المجوس في أصولهم القديمة فسروا الإسلام تفسيراً باطنياً وبنوا الظواهر الشرعية على تأويلات لا تعقل، مدَّعين فيها أنها هي المقصودة، والمراد لا يفهم من الظاهر، فقالوا: كل ما ورد في الشرع من الظواهر في التكاليف والحشر والنشر والأمور الإلهية فهي أمثلة ورموز إلى بواطن.

وهم لا يحكمون على مسلم بالإسلام والإيمان إلا إذا اعتقد جازماً أن للألفاظ الشرعية ظاهراً وباطناً، وأن الظاهر عندهم هو الشريعة وهو غير مراد، وأن الباطن هو الحقيقة وهو المراد لأن الشريعة ما وضعت في الأصل إلا لترمز إلى الحقيقة[1].

ولهذا قال العلماء فيهم: (إنهم قوم أرادوا إبطال الشريعة جملة وتفصيلاً، فلم يمكنهم إلقاء ذلك صراحة خوفاً من ردود الفعل الشديدة التي

---

(١) الاعتصام، الشاطبي (١/ ٢٥٢). الفتاوى، ابن تيمية (٦/ ٤٨) وما بعدها.

تنتظرهم، فتوجهوا إلى التحيل بما أشكلوا به على الناس مما سمّوه ظاهراً وباطناً).

وقد فرّق الباطنيون بين التفسير والتأويل، فالتفسير عندهم: هو جلاء المعنى لكل كلمة غامضة لا يفهم معناها القارئ. أما التأويل: فهو الحقيقة المتسترة وراء لفظة تدل عليها.

فمثلاً عند تفسير كلمة شجرة من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٦]. يقولون:

أما تفسير كلمة (شجرة) فإنها نبتة تغرس صغيرة ثم تنمو فيتفرع منها جذوع وأغصان ينبت عليها ورق أخضر....

وأما تأويل كلمة (شجرة) فإنه يتبع رأي الإمام المسؤول عنها مباشرة، فقد يقول: إنها حجرة أو بقرة أو صخرة أو غير ذلك مما يلهم الجواب عند السؤال[1].

مثال آخر في تأويلهم قوله تعالى:

﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة: ٦٠]. قالوا:

(للفقراء: يعني النطقاء، إذ ليس في العالم من يفيدهم فهم مفتقرون إلى ما يأتيهم من المواد الروحانية.

والمساكين: يعني الأسس، لأن الخلق يسكنون إلى تأويلهم وبراهينهم.

والعاملين عليها: يعني الأئمة، لأنهم ورثوا علوم التأويل والتنزيل فهم عاملون عليها يحثون الأمة على التمسك بها.

---

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم، مصادره واتجاهاته، عبد الله بن عبد الرحمن (٢٠٦).

والمؤلفة قلوبهم: يعني الحجج، لأن الله تعالى ألف قلوبهم فهم كنفس واحدة لا خلاف بينهم.

وفي الرقاب: يعني الدعاة، لأن خدمة الدعوة عليهم.

والغارمين: يعني المأذونين، لأن التربية بالعلوم التأويلية إليهم.

وفي سبيل الله: يعني المأذونين المحدودين الذين بلغوا من العلم حاجتهم وقد أذن لهم في تربية المستجيبين وإفادتهم.

وابن السبيل: يعني المؤمنين الطالبين المستفيدين لفوائد الدين.

فهؤلاء ثمانية أجناس، جعلهم الله قوام دينه وخُزّان علمه، وفرض على الخلق معرفتهم وأوجب عليهم طاعتهم وأمر بإخراج الزكاة والصدقات إليهم ووضعها عندهم ليصرفها من كان منهم ليس بإمام إلى الإمام ليصرفها في مصالح الدين)[١].

مثال آخر في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البَلَد: ٨ - ١٠]. قالوا:

(العينان: الناطق والأساس، إذ هما عينا الله في أرضه.

واللسان: الحجة، لأنه يبرهن للمؤمنين علم التأويل والتنزيل.

والشفتان: الداعي والمأذون، إذ هما جاهدان في دين الله.

وهديناه النجدين: أي الطريق من الظاهر والباطن)[٢].

وبذلك فهم يفرقون بين من تكون له صلاحية التفسير وهو شخص عادي ومن تكون له صلاحية التأويل ويسمونه (الإمام).

وبناء على أصلهم هذا جعلوا القرآن قرآنين، قرآن تنزيل وقرآن تأويل،

---

(١) انظر: مفاتيح النعمة (٣٧) القاضي النعمان المغربي (أبو حنيفة) المتوفى سنة ٣٦٣هـ (وهو ليس بأبي حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفي المشهور من أهل السنة والجماعة المتوفى سنة ١٥٠هـ)، تح: مهتدي مصطفى غالب، دار الغدير سلمية، ط١، ١٩٩٢.

(٢) المرجع السابق (٣٠).

بمعنى أن القرآن أنزل على محمد ﷺ بلفظه ومعناه الظاهر للناس، أما أسراره التأويلية الباطنية فقد خص بها أئمة تم اختيارهم من قِبَلهم وسموهم بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان.

ويأتي تأويلهم للقرآن خدمة لهذه الأصول الباطلة والمعاني الفاسدة التي تجعل أئمة الباطنية أعلى مقاماً وأولى بالاتباع والموالاة من رسول الله ﷺ لأنهم أصحاب الحقيقة ولهم وحدهم حق تأويل ومعرفة أسرار القرآن، أما محمد ﷺ فإنما هو مجرد ناقل ناطق بألفاظ القرآن الظاهرة.

وتولد عن هذا لدى بعضهم منهج آخر هو شتم الصحابة الكرام رضي الله عنهم والحط من شأنهم والنيل من قدرهم، ثم اتهام السيدة الطاهرة (عائشة) رضي الله عنها بالفاحشة التي برأها الله تعالى منها بآيات طويلة في سورة النور [النور: ١١ ـ ٢٦] وراحوا يدعمون ما ذهبوا إليه من تلك العقائد الباطلة القبيحة بتأويل آيات من القرآن الكريم، مثل:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ [البقرة: ٦٧] قالوا: (لم يرد الله بقرة وإنما هي عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ٥١﴾ [النساء: ٥١]. قالوا:

(الجبت والطاغوت هما أبو بكر وعمر)[١] ـ نعوذ بالله من مثل هذه الافتراءات ورضي الله عن صحابة رسول الله ﷺ أجمعين ـ.

ثم تفرق الناس إلى فرق بعضها يغالي بقبول الأفكار السابقة وتبنيها والدفاع عنها، وبعضهم يوافق على شيء منها ويرفض أغلبها، وبعضهم يرفضها ويتبنى غيرها من الأفكار المنحرفة وكله شاذ وبعيد عن الإسلام الحقيقي بعد السماء عن الأرض.

---

(١) المرجع السابق (١٩٨).

ولما وقع هذا التفرق إذا كل فرقة من هذه الفرق تنظر إلى القرآن من خلال عقيدتها وتفسره بما يتلاءم مع مذهبها، ومن ذلك نشأت بعض كتب التفسير المذموم، وسنتعرض هنا إلى نماذج منها عرضاً سريعاً فقط لا دراسة شاملة.

نماذج من كتب التفسير بالرأي المذموم ورأي العلماء فيها(١):

١ ـ أمالي الشريف المرتضى أو غرر الفوائد ودرر القلائد:

مؤلفه: أبو القاسم، علي بن الطاهر، بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو أخو الشريف الرضي، وشيخ الشيعة، ورئيسهم بالعراق، وكان مع تشيعه معتزلياً مبالغاً في اعتزاله، عرف بتفوقه في الكلام والأدب والشعر، وروى الحديث عن سهل الديباجي الكذاب.

كانت ولادته سنة ٣٥٥هـ، وتوفي سنة ٤٣٦هـ.

الكتاب: هو كتاب يشتمل على محاضرات أو أمالي أملاها الشريف المرتضى في ثمانين مجلساً تشتمل على بحوث في التفسير والحديث والأدب.

وهو كتاب يدل على توسع في الاطلاع على العلوم، وهو لا يحيط بتفسير القرآن كله، بل ببعض من آياته التي يدور أغلبها حول العقيدة.

ومؤلفه يسعى بكل جهده للوصول إلى مبادئه الاعتزالية عن طريق التفسير، مستعيناً في ذلك بنبوغه الأدبي، ومعرفته بفنون اللغة وأساليبها، حتى إنه يقف من الآيات التي تعارض عقيدته موقفاً يلتزم فيه مخالفة ظاهر القرآن،

(١) اقتصرنا على ذكر النماذج من التفاسير القديمة إذ لا يتسع منهج الاختصار الذي اتبعناه في الكتاب لذكر نماذج مذمومة من التفسير المعاصر وهي كثيرة جداً جديرة أن تخصص لها دراسات خاصة لبيان زيفها وبطلانها.

ويفضل فيه التفاسير الملتوية لبعض الألفاظ على ما يتبادر منها إرضاءً لعقيدته، وتمشياً مع مذهبه.

وقد أولع الشريف بالطريقة اللغوية في تفسيره للآيات القرآنية، وحرص كل الحرص على تطبيق هذا المبدأ اللغوي، وذلك راجع إلى تمكنه العظيم من اللغة والشعر القديم.

هذا وإن الشريف المرتضى يعرض لبعض الإشكالات التي ترد على ظاهر النظم الكريم مما يوهم الاختلاف والتناقض، ثم يجيب عنها بدقة بالغة، ترجع إلى مهارته في اللغة وإحاطته بفنونها.

٢ ـ مجمع البيان لعلوم القرآن للطبرسي:

مؤلفه: أبو علي، الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي المشهدي، وهو من بيت عرف أهله بالعلم، **وله تصانيف منها:** مجمع البيان في تفسير القرآن، والوسيط في التفسير، والوجيز، وإعلام الورى بأعلام الهدى.

وكانت وفاته ليلة النحر سنة ٥٣٨هـ.

الكتاب: قدم الطبرسي لكتابه بمقدمات تتعلق ببعض علوم القرآن لابد من معرفتها لمن أراد الخوض في علومه، ثم شرع في التفسير فتكلم عن الاستعاذة فالبسملة ففاتحة الكتاب، وهكذا إلى آخر القرآن.

وإن تفسير الطبرسي ـ بصرف النظر عما فيه من نزعات تشيعية وآراء اعتزالية ـ كتاب يدل على تبحر صاحبه في فنون مختلفة من العلم والمعرفة فهو مُجيد في ذكر القراءات والمعاني اللغوية، ووجوه الإعراب، والشرح الإجمالي للآيات، وهو إذا تكلم عن أسباب النزول وشرح القصص، استوفى الأقوال وأفاض، وإذا تكلم عن الأحكام تعرض لمذاهب الفقهاء، وجهر بمذهبه ونصره إن كانت هناك مخالفة منه للفقهاء.

وهو ينقل أقوال من تقدمه من المفسرين معزوةً لأصحابها، ويرجح ويوجه ما يختار منها.

ومن المآخذ عليه تعصبه لمذهبه الشيعي، وانتصاره له، وحمله لكتاب الله على ما يتفق وعقيدته، وتنزيله لآيات الأحكام على ما يتناسب مع الاجتهادات التي خالف فيها هو ومن كان على مذهبه.

وهو يوافق المعتزلة في بعض آرائهم الكلامية، ويرتضي مذهبهم ويدافع عنه، ويحاول أن يهدم ما عداه، وأحياناً نراه لا يرتضي ما يقوله المعتزلة ولا يسلمه لهم بل يقف موقف المنازع لهم والمعارض لأدلتهم.

وقد أكثر الطبرسي من ذكر الموضوعات، خصوصاً ما وضعه الشيعة ونسبوه إلى النبي ﷺ أو إلى أهل البيت بما يشهد لمعتقداتهم ويدل على تشيعهم، كما أنه وقع فيما وقع فيه كثير من المفسرين من الاغترار بما جاء من الأحاديث في فضائل السور، وهي أحاديث موضوعة باتفاق أهل العلم، وكثيراً ما يروي في تفسيره الروايات الإسرائيلية، دون أن يعقب عليها، إلا إذا كانت مما يتنافى مع العقيدة، فإنه ينبه على كذب الرواية، ويبين ما فيها من مجافاتها للحق، وبُعدها عن الصواب، كما أنه يذكر أحياناً المعاني الباطنية، ويرتضيها ولا يرد عليها، بل كثيراً ما يؤيدها بأدلة من عنده.

٣ ـ فتح القدير للشوكاني:

مؤلفه: العلامة محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني، ولد سنة ١١٧٣هـ، في بلدة هجر شوكان ونشأ بصنعاء، وتربى في حجر أبيه على العفاف والطهارة، وأخذ في طلب العلم والسماع من العلماء الأعلام، واشتغل كثيراً بمطالعة كتب التاريخ ومجاميع الأدب، إلى أن صار إماماً يعول عليه، ومفسراً للقرآن، ومحدثاً، ومجتهداً.

ولقد خلّف ـ رحمه الله ـ كتباً في العلم نافعة وكثيرة، أهمها: كتاب فتح القدير في التفسير، وكتاب نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار في الأحاديث، وكتاب إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والميعاد والنبوات. . . ردّ فيه على موسى بن ميمون الأندلسي اليهودي، وغير هذا كثير.

تفقه رحمه الله على مذهب الزيدية، وبرع فيه وألّف وأفتى، ثم خلع ربقة التقليد وتحلى بمنصب الاجتهاد.

وعقيدة الشوكاني عقيدة السلف، من حمل صفات الله تعالى الواردة في القرآن والسنة على ظاهرها من غير تأويل ولا تحريف، وقد ألف رسالة في ذلك، سماها: التحف بمذهب السلف.

توفي الشوكاني ـ رحمه الله ـ سنة ١٢٥٠هـ.

الكتاب: يُعدُّ أصلاً من أصول التفسير، لأنه جمع بين التفسير بالدراية والتفسير بالرواية، وهو غند تفسيره للآيات يذكرها ثم يفسرها تفسيراً معقولاً ومقبولاً، ثم يذكر ـ بعد الفراغ من ذلك ـ الروايات التفسيرية الواردة عن السلف، وهو ينقل كثيراً عن القرطبي وابن عطية الأندلسي، وأبي جعفر النحاس والزمخشري وغيرهم، كما يذكر المناسبات بين الآيات، ويحتكم إلى اللغة كثيراً، وينقل عن أئمتها الكبار كالمبرد وأبي عبيدة والفراء، وهو يتعرض أحياناً للقراءات السبع، ولا يفوته أن يعرض لمذاهب العلماء الفقهية في كل مناسبة، ويذكر اختلافاتهم وأدلتهم، ويدلي بدلوه بين الدلاء، فيرجح ويستظهر ويستنبط، ويعطي نفسه حرية واسعة في الاستنباط؛ لأنه يرى نفسه مجتهداً لا يقل عن غيره من المجتهدين.

إلا أنه يؤخذ عليه ـ وهو من أهل الحديث ـ أنه يذكر كثيراً من الروايات الموضوعة، أو الضعيفة، ويمر عليها دون أن ينوه لضعفها أو وضعها.

ويُلاحظ على الشوكاني أنه لا يكاد يمر بآية من القرآن تنعي على المشركين تقليدهم آباءهم إلا ويطبقها على مقلدي أئمة المذاهب الفقهية، ويرميهم بأنهم تاركون لكتاب الله، معرضون عن سنة رسوله ﷺ، وقد أغفل بذلك أن في الناس من ليس أهلاً للاجتهاد، وهؤلاء لا بدّ لهم من التقليد، ثم إنه من الخطأ الكبير أن يطبق ما ورد من الآيات في حق الكفرة على مقلدي الأئمة وأتباعهم.

وقد وقف الشوكاني في مسألة التوسل بالأنبياء والأولياء موقف المعارضة للجمهور، وأفاض في الإنكار على من يفعل ذلك.

وبالرغم من أن الزيدية تأثروا كثيراً بتعاليم المعتزلة، وأخذوا عنهم آراءهم وعقائدهم في غالب مسائل الكلام، فإنا نجد الشوكاني لا يميل إلى القول بمبادئهم، بل ونجده يرد عليهم ويعارضهم معارضة شديدة في كثير من المواقف.

وعلى الجملة فالكتَاب له قيمته ومكانته، وإن كان لا يعطينا الصورة الواضحة للتفسير عند الإمامية الزيدية.

٤ ـ هميان الزاد إلى دار المعاد:

مؤلفه: محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح إطفيش الوهبي ـ نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسبي، الزعيم الأول للخوارج ـ الإباضي، وهو من وادي ميزاب بصحراء الجزائر من بلاد المغرب، نشأ بين قومه، وعرف عندهم بالزهد والورع، واشتغل بالتدريس والتأليف وهو شاب لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره، وانكبّ على القراءة والتأليف، **وله من المؤلفات في شتى العلوم، فمن ذلك:** نظم المغني لابن هشام في خمسة آلاف بيت، وشرح كتاب التوحيد للشيخ عيسى بن تفورين، وهو من أهم مؤلفاته في علم الكلام، وشرح كتاب العدل والإنصاف في أصول الفقه لأبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني، وله في الحديث وفاء الضمانة بأداء الأمانة، وجامع الشمل في حديث خاتم الرسل، وله في الفقه شرح كتاب النيل.

وقد توفي المؤلف سنة ١٣٣٢هـ، وله من العمر ست و تسعون سنة.

الكتاب: يعد هذا التفسير المرجع المهم للتفسير عند الإباضية من الخوارج، وقد استمد من كتب من سبقه من المفسرين على اختلاف نِحلهم ومشاربهم، فهو قد قرأ الكثير من كتب التفسير، وتأثر بما جاء فيها واستفاد الكثير من معانيها، مما يدعونا إلى القول بأن تفسيره يمثل التفسير المذهبي

للخوارج الإباضية في أواخر عصورهم فقط، وبعد أن خرجوا من عزلتهم التي مكثوا فيها مدة طويلة من الزمن.

يذكر المؤلف في أول كل سورة عدد آياتها، والمكي منها والمدني، ثم يذكر فضائل السورة، مستشهداً لذلك في الغالب بالأحاديث الموضوعة، في فضائل السور، ثم يذكر فوائد السورة بما يشبه كلام المشعوذين الدجالين، ثم بعد ذلك كله يشرح الآيات شرحاً وافياً، فيسهب في المسائل النحوية واللغوية والبلاغية، ويفيض في مسائل الفقه والخلاف بين الفقهاء، كما يتعرض لمسائل علم الكلام ويفيض فيها، مع تأثر كبير بمذهب المعتزلة، كما لا يفوته أن يعرض للأبحاث الأصولية والقراءات، وهو مكثر إلى حد كبير من ذكر الإسرائيليات التي لا يؤيدها الشرع، ولا يصدقها العقل، كما يطيل في ذكر تفاصيل الغزوات التي كانت على عهد رسول الله ﷺ، ثم هو بعد ذلك لا يكاد يمر بآية يمكن أن يجعلها في جانبه إلا مال بها إلى مذهبه، وجعلها دليلاً عليه، ولا يمر بآية تصارحه بالمخالفة إلا تلمس لها كل ما في طاقته من تأويل، ليتخلص من معارضتها، وقد يكون تأويلاً متكلَّفاً وفاسداً لا ينجيه من معارضة الآية له، لكنه التعصب الأعمى، يدفع الإنسان إلى أن ينسى عقله، ويطرح تفكيره الصائب؛ ليمشي مع الهوى بعقل فارغ وتفكير خاطئ.

وهو كلما سنحت له الفرصة للتنديد بجمهور السنة، ندد بهم ولمزهم، ثم إنه لا تكاد تأتي مناسبة لذكر الخوارج إلا رفع من شأنهم، ولا لذكر علي أو عثمان رضي الله عنهما، أو من يلوذ بهما إلا وغضَّ من شأنهم، ورماهم بكل نقيصة.

هذا وإن المؤلف ليفخر كثيراً في مواضع من تفسيره بنفسه وبأهل نحلته، ويرى أنه وحزبه أهل الإيمان الصادق، والدين القويم، والتفكير السليم، وأما من عداهم فضالون مضلون، مبتدعون مخطئون.

المبحث الرابع
التفسير الاعتزالي

مميزات التفسير الاعتزالي.

أشهر كتب التفسير الاعتزالي.

اتجه المعتزلة نحو التأييد المذهبي بآيات القرآن والتأصيل القرآني للأصول الفكرية، كما اتجه غيرهم من المذاهب سواء الصحيحة أو الباطلة، وسلكوا في تفسير القرآن الكريم مسلك المستفيد لمذهبه.

ومذهب المعتزلة يقوم على أصول وعقائد؛ أما الأصول فهي خمسة: التوحيد والعدل والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأما العقائد فهي متفرقة لا يجمعون عليها كلهم، مثل عدم رؤية المؤمن لله تعالى في الجنة يوم القيامة. ونفي صفات الله تعالى، وخلق الأفعال، وفعل الأصلح، وخلق القرآن، وغيرها.

أراد المعتزلة في تفاسيرهم للقرآن الكريم أن يجدوا مستنداً من الشرع لهذه الأصول والأفكار والعقائد.

وقد وصفهم **ابن القيم** بقوله: (استعملوا قياساتهم الفاسدة وآراءهم الباطلة وشبههم الداحضة في رد النصوص الصحيحة الصريحة، ... فأنكروا لذلك رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، وأنكروا كلامه وتكليمه لعباده، وأنكروا مباينته للعالم واستواءه على عرشه، وعلوّه على المخلوقات، وعموم قدرته على كل شيء، بل أخرجوا أفعال عباده من الملائكة والأنبياء والجن عن تعلق قدرته ومشيئته وتكوينه لها، ونفوا لأجلها حقائق ما أخبر به عن نفسه وأخبر به رسوله ﷺ من صفات كماله ونعوت جلاله، وحرّفوا لأجلها النصوص، وأخرجوها عن معانيها وحقائقها بالرأي المجرد.

وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل...)[١].

---

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية (١/ ٦٨).

مميزات التفسير الاعتزالي:

١ - الاعتماد على العقل في التفسير، وتقديم مؤداه على الشرع وبذل المجهود لتعظيم أمره، مثل: تفسيرهم للفظ (الرسول) في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. فقالوا: المراد بالرسول هنا: العقل، لأن مقتضى الآية أن من ليس بذي عقل فإنه لا يعذب، كالمجنون[١].

٢ - التركيز على الآيات التي تخدم مذهبهم أو تشير ولو من بعد على أصول فكرهم.

٣ - اللجوء إلى اللغة والتصريف إن لم يسعفهم المعنى؛ فهم قد فسروا (جعل) بمعنى (بيّن) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١].

فكان معنى الآية عندهم:

إن الله سبحانه بيّن لكل نبي عدوه حتى يأخذ حذره منه. ولكن هذه الكلمة نفسها عندما وجدوا أنها تخدم مذهبهم بقضية خلق القرآن، فسروها بمعنى (خلق) في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣].

مع أن العلماء أوضحوا أن (جعل) إذا كانت بمعنى (خلق) تتعدى إلى مفعول واحد مثل ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾.

أما في آية الزخرف فهي متعدية إلى مفعولين وإذا تعدت إلى مفعولين فلا يمكن أن تكون بمعنى خلق.

٤ - اللجوء إلى صرف الظواهر إذا خالفت أصولهم: كما في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣].

فسروا (إلى) التي هي حرف جر يدل على الغاية أو الحد بأنها (مفرد آلاء) التي بمعنى النعمة.

---

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم مصادره واتجاهاته (١٧٩).

وفسروا (ناظرة) التي هي بمعنى النظر والرؤية، بأنها (بمعنى الانتظار)، وعلى هذا يكون المعنى:

وجوه يومئذ ناضرة منتظرة نعمة ربها.

فصرفوا الظاهر المتبادر إلى غيره حتى لا يعارض القرآن أصلاً من أصولهم ومذهبهم وهو عدم رؤية المؤمن لله تعالى في الجنة.

٥ - اللجوء إلى التشبث بالظاهر وإن أدى إلى باطل.

٦ - تقديم القراءة الشاذة على المتواترة لخدمة مذهبهم، ففي قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]. قدموا قراءة شاذة بنصب لفظ الجلالة ورفع موسى (وكلم اللهَ موسى تكليماً) ليكون المتكلم هو موسى عليه السلام وليس الله تعالى فتنتفي صفة الكلام عن الله عز وجل، والقراءة المتواترة هي برفع لفظ الجلالة (اللهُ) ونصب (موسى) والمتكلم هو الله تعالى.

أشهر كتب التفسير الاعتزالي:

١ - الكشاف، للزمخشري[١].

٢ - متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار الهمذاني[٢] ت (٤١٥ هـ): وهو كتاب مهم في مذهب المعتزلة استعرض فيه مؤلفه سور القرآن بحسب ترتيبها في المصحف ويقف في كل منها عند نوعين من الآيات، الآيات المتشابهة التي يزعم الخصم أن فيها دلالة على مذهبه. والآيات المحكمة الدالة على المذهب الحق بزعمه، فيستدل من هذه على التوحيد والعدل وغير ذلك من أصول وعقائد المعتزلة، ويرد بتلك على مخالفيهم.



---

(١) سبق الحديث عنه ص (٨١) من هذا الكتاب.

(٢) انظر: كتابة البحث العلمي، عبد الوهاب إبراهيم سليمان (١٨٦).

المبحث الخامس
التفسير الصوفي

معنى التصوف.

أقسام التصوف.

التفسير الصوفي النظري.

التفسير الصوفي الإشاري.

شروط قبول التفسير الإشاري.

نماذج من التفسير الصوفي.

نماذج من كتب التفسير الصوفي.

معنى التصوف[1]:

التصوف: هو علم تعرف به أحوال النفس، محمودها ومذمومها، وكيفية تطهيرها من المذموم منها وتحليتها بالاتصاف بمحمودها، وكيفية السلوك والسير إلى الله تعالى والفرار إليه.

وهو بهذا المعنى موجود منذ الصدر الأول للإسلام، غير أنهم لم يعرفوا في زمنهم باسم الصوفية، وإنما اشتهر بهذا اللقب فيما بعد من عرفوا بالزهد والتفاني في طاعة الله تعالى، وكان هذا الاشتهار في القرن الثاني الهجري سنة ١٥٠هـ، وفي هذا القرن وما بعده تولدت بعض الأبحاث الصوفية، وأخذت هذه الأبحاث تنمو وتتزايد بمقدار ما اقتبسه القوم من المحيط العلمي الذي يعيشون فيه، ولقد استفاد المتصوفة من الفلاسفة، والمتكلمين والفقهاء، غير أنهم أخذوا من الفلسفة بحظ وافر، بل وكوّنوا فلسفة خاصة بهم، حتى أصبحنا نرى بينهم رجالاً أشبه بالفلاسفة منهم بالمتصوفة، وأصبحنا نرى بعضهم يدين بمسائل فلسفية لا تتفق ومبادئ الشريعة، مما أثار عليهم جمهور أهل السنة، وجعلهم يحاربون التصوف الفلسفي، ويؤيدون التصوف الذي يدور حول الزهد والتقشف، وتربية النفس وإصلاحها.

أقسام التصوف

انقسم التصوف إلى قسمين أساسيين:

تصوف نظري: وهو التصوف الذي يقوم على البحث والدراسة.

وتصوف عملي: وهو التصوف الذي يقوم على التقشف والزهد، والتفاني في طاعة الله، وكل من القسمين كان له أثره في تفسير القرآن الكريم.

---

(١) لمحات التصوف وتاريخه، السائح علي حسين (٢٢).

أولاً ـ التفسير الصوفي النظري:

وُجد من المتصوفة من بنى تَصَوُّفَه على مباحث نظرية، وتعاليم فلسفية، فكان من البدهي أن ينظر هؤلاء المتصوفة إلى القرآن نظرة تتمشى مع نظرياتهم، وتتفق وتعاليمهم، وحرصوا على أن تسلم لهم تعاليمهم ونظرياتهم، فحاولوا أن يجدوا في القرآن ما يشهد لهم أو يستندون إليه، فتراهم يتعسفون في فهمهم للآيات القرآنية، ويشرحونها شرحاً يخرج بها عن ظاهرها الذي يؤيده الشرع، وتشهد له اللغة.

والواقع أن التفسير الصوفي النظري تفسير يخرج بالقرآن ـ في الغالب ـ عن هدفه الذي يرمي إليه، حيث يأبى الصوفي المنحرف إلا أن يحوّل القرآن عن هدفه ومقصده، إلى ما يقصده هو ويرمي إليه، وغرضه بهذا كله أن يروّج لتصوفه على حساب القرآن، وبهذا الصنيع يكون قد خدم فلسفته التصوفية، ولم يعمل للقرآن شيئاً، اللهم إلا هذا التأويل الذي هو شر على الدين وإلحاد في آيات الله.

وإن التفسيرات الصوفية الفلسفية القائمة على نظرية وحدة الوجود ما كان لنا أن نقبلها مهما كان قائلها، أما التفسير الذي أسس على نظريات الفلاسفة الذين بحثوا في الطبيعة وما وراء الطبيعة، والذي جرى عليه عدد من المتصوفة في تفسيرهم لبعض الآيات القرآنية، فلا نقبله على أنه تفسير موافق لمراد الله تعالى ومقصوده الذي جاء القرآن من أجله، وإنما نقبله إن صح على أنه مما تحتمله الآية ما دام لا يعارض القرآن ولا ينافيه.

ثانياً ـ التفسير الصوفي الفيضي أو الإشاري:

التفسير الفيضي أو الإشاري: **هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها، بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك**، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، وهو لا يرتكز على مقدمات علمية، بل يرتكز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها هذه الإشارات القدسية، وفي هذا النوع لا يرى الصوفي أن تفسيره هو

كل ما يراد من الآية، بل يرى أن هناك معنى آخر تحتمله الآية ويراد منها أولاً وقبل كل شيء، ومن ثم يأتي التفسير الصوفي الإشاري للآية احتمالاً ثانياً.

يقول ابن تيمية عن هذا التفسير: (هذا من نوع القياس، فالذي يسميه الفقهاء قياساً هو الذي تسميه الصوفية إشارة، وهذا ينقسم إلى صحيح وباطل كانقسام القياس إلى ذلك)[١].

وهناك شروط لقبول التفسير الإشاري وهي:

أولاً: أن لا يكون التفسير الإشاري منافياً للظاهر من النظم القرآني الكريم.

ثانياً: أن يكون له شاهد شرعي يؤيده.

ثالثاً: أن لا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

رابعاً: أن لا يدعي المفسر أن التفسير الإشاري هو المراد وحده دون الظاهر بل لا بد أن يعترف بالمعنى الظاهر أولاً، إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر.

نماذج من التفسير الصوفي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٩]. قالوا: (هو اللوح المحفوظ أو المصحف وكما أن المصحف الذي كتبت فيه حروف القرآن لا يمسه إلا بدن طاهر فمعاني القرآن لا يذوقها إلا القلوب الطاهرة وهي قلوب المتقين).

وهذا المعنى صحيح ويشهد له بالصحة آيات في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ٢]. وقوله عز وجل: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/ ٢٤١) وما بعدها.

﴿ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٦].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧]. قالوا: (ذبح البقرة إشارة إلى ذبح النفس البهيمية فإن في ذبحها حياة القلب الروحاني وهو الجهاد الأكبر، موتوا قبل أن تموتوا).

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. جعل لام التوكيد في (لَمَعَ) ليست للتوكيد بل هي لام للفعل الثلاثي (لَمَعَ) الماضي أي (أضاء) والمعنى: إن الله أضاء وجه المحسنين.

وإن هذا التفسير والذي سبقه من أن ذبح البقرة هو ذبح النفس، خارج عن شروط القبول ومناف لظاهر الآيات وهو إلحاد في آيات الله والله تعالى يقول:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ [فصلت: ٤٠][1].

من كتب التفسير الصوفي:

١ ـ تفسير القرآن العظيم:

المؤلف: هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله التستري، المولود في تستر سنة ٢٠٠هـ، وكان له اجتهاد وافر ورياضة روحية عظيمة، أقام بالبصرة زمناً طويلاً، وتوفي بها سنة ٢٨٣هـ.

الكتاب: هذا التفسير مطبوع في مجلد صغير الحجم، ولم يتعرض فيه مؤلفه لتفسير القرآن آية آية، بل تكلم عن آيات محدودة ومتفرقة من كل سورة، وهي أقوال قالها سهل في آيات متفرقة من القرآن الكريم، ثم جمعها أبو بكر محمد بن أحمد البلدي.

---

(١) التفسير والمفسرون (٢/ ٣٦٣).

وقد قدم لـه مؤلفه بمقدمة يوضح فيها معنى ظاهر القرآن وباطنه، ومعنى الحد والمطلع.

وهو يذكر أحياناً المعاني الظاهرة، ثم يعقبها بالمعاني الإشارية، وقد يقتصر أحياناً على المعنى الإشاري وحده، أو على المعنى الظاهري وحده، دون أن يعرج على باطن الآية، وحين يعرض سهل للمعاني الإشارية لا يكون واضحاً في كل ما يقوله، بل تارة بالمعاني الغريبة التي يستبعد أن تكون مرادة لله تعالى، وتارة يأتي بالمعاني الغريبة التي يمكن أن تكون من مدلول اللفظ أو مما يشير إليه اللفظ.

كذلك فالمؤلف ينحو في كتابه هذا منحى تزكية النفوس، وتطهير القلوب، والتحلي بالأخلاق والفضائل التي يدل عليها القرآن ولو بطريق الإشارة، وكثيراً ما يسوق من حكايات الصالحين وأخبارهم ما يكون شاهداً لما يذكره، كما أنه يتعرض في بعض الأحيان لدفع إشكالات قد ترد على ظاهر اللفظ الكريم.

٢ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري[١].



(١) سبق الحديث عنه ص (٩٠) من هذا الكتاب.

المبحث السادس
التفسير الفلسفي

معنى التفسير الفلسفي.

مواقف المسلمين تجاه الفلسفة بشكل عام.

إبان قوة الدولة الإسلامية ترجمت كتب الفلسفة من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية، ويرجع الفضل الأكبر في هذا العمل إلى العباسيين، إذ إنهم نظموا الترجمة الإسلامية وشجعوها.

ولكي يحقق العباسيون غايتهم استخدموا طائفة من الفرس والهنود والصابئة، والمسيحيين الذين كانوا على اتصال وثيق بالدراسات القديمة، فنقلوا إلى اللغة العربية كتب فلاسفة اليونان والهند والفرس وغيرهم، ثم أذيعت هذه الكتب بين المسلمين، فقرأ بعضهم تلك الكتب قراءة النهم المتعطش لهذا النوع من العلم الذي لم يكن لهم به عهد من قبل.

وتباينت مواقف المسلمين تجاه هذا النوع من الكتب فجماعة منهم لم يرقهم أكثر ما فيها من نظريات وأبحاث، لأنهم وجدوها تتعارض مع الدين، فكرسوا حياتهم للرد عليها، وتنفير الناس منها، وكان على رأس هؤلاء الغزالي، والفخر الرازي، الذي تعرض في تفسيره لنظريات الفلاسفة المتعارضة مع الدين، ومع القرآن على الأخص، فردها وأبطلها بمقدار ما أسعفته الحجة، وانقاد له الدليل.

وقد أعجب بهذه الكتب بعض المسلمين إلى حد كبير، رغم ما فيها من نظريات تبدو متعارضة مع نصوص الشرع القويم، وتعاليمه التي لا يلحقها الشك، ولا تحوم حولها الشبهة، نعم أعجبوا بها رغم هذا؛ لأنهم وجدوا أن في مقدورهم أن يوفقوا بين الحكمة والعقيدة، أو بين الفلسفة والدين، وأن يبينوا للناس أن الوحي لا يناقض العقل في شيء، وأن العقيدة إذا استنارت بضوء الحكمة تمكنت من النفوس وثبتت أمام الخصوم، رأوا أن هذا في مقدورهم، فبذلوا كل ما يستطيعون من حلول، ليصلوا الفلسفة بالدين، ويؤاخوا بينهما، حتى يصبح الدين فلسفة والفلسفة ديناً، وفعلاً وصل فلاسفة المسلمين إلى هذا التوفيق، ولكنه توفيق إن أرضى بعض المسلمين فقد

أغضب الكثير منهم؛ ذلك لأنهم لم يصلوا في توفيقهم إلا إلى حلول وسطى، صوروا فيها التعاليم الدينية تصويراً يبعد كثيراً عن الصور الثابتة المأثورة، ومثل هذه الحلول لا تصلح للتوفيق بين جانبين متقابلين وطرفين متنافرين؛ ولذلك لم يجد الغزالي ومن لَفَّ لَفَّه صعوبة في الرد على هؤلاء الفلاسفة وإبطال محاولاتهم التي ظنوا أنهم أرضوا بها رجال الدين الواقفين عند حدوده وتعاليمه.

أما الفريق المعاند للفلسفة فإنه لما فسر القرآن اصطدم بهذه النظريات الفلسفية، فرأى من واجبه كمفسر أن يعرض لهذه النظريات ويمزجها بالتفسير، إما عن طريق الدفاع عنها وبيان أنها لا تتعارض مع نصوص القرآن، وذلك بالنسبة للنظريات الصحيحة عنده، والمسلّمة لديه، وإما عن طريق الرد عليها، وبيان أنها لا يمكن أن تساير نصوص القرآن، وذلك بالنسبة للنظريات التي لا يسلمها ولا يقول بها، وممن فعل هذا في تفسيره الإمام فخر الدين الرازي.

وأما الفريق المسالم للفلسفة المصدق بكل ما فيها من نظريات وآراء، فإنه لما فسر القرآن سلك طريقاً كله شر وضلال، إذ إنه وضع الآراء الفلسفية أمام عينيه، ثم نظر من خلالها إلى القرآن، فشرح نصوصه على حسب ما تمليه عليه نزعته الفلسفية المجردة من كل شيء إلا من التعصب الفلسفي.

وأخيراً وجدنا أنفسنا أمام شروح لبعض آيات القرآن، هي في الحقيقة شروح لبعض النظريات الفلسفية، قصد بها تدعيم الفلسفة وخدمتها على حساب القرآن الكريم، الذي هو أصل الدين ومنبع تعاليمه، وممن فعل ذلك الفارابي، إخوان الصفا، ابن سينا.



المبحث السابع
التفسير الفقهي

تعريف التفسير الفقهي.

نشأة التفسير الفقهي وتطوره.

نماذج من كتب التفسير الفقهي القديمة.

نماذج من كتب التفسير الفقهي المعاصرة.

تعريفه: هو التفسير الذي يهتم باستفادة الأحكام الشرعية والمسائل الفقهية من آيات القرآن الكريم وهو الذي يسمى: (أحكام القرآن، أو تفسير آيات الأحكام).

نشأة التفسير الفقهي وتطوره:

نزل القرآن الكريم مشتملاً على آيات تتضمن الأحكام الفقهية التي تتعلق بمصالح العباد في دنياهم وأخراهم، وكان المسلمون على عهد رسول الله ﷺ يفهمون ما تحمله هذه الآيات من الأحكام الفقهية بمقتضى سليقتهم العربية، وما أشكل عليهم من ذلك رجعوا فيه إلى رسول الله ﷺ، ولما توفي رسول الله ﷺ جدّت للصحابة من بعده حوادث تتطلب من المسلمين أن يحكموا عليها حكماً شرعياً صحيحاً، فكان أول شيء يفزعون إليه لاستنباط هذه الأحكام الشرعية هو القرآن الكريم، ثم سنة رسول الله ﷺ، فإن لم يجدوا فيها حكماً، اجتهدوا وأعملوا رأيهم على ضوء القواعد الكلية للكتاب والسنة، غير أن الصحابة رضوان الله عليهم في نظرهم لآيات الأحكام كانوا يتفقون أحياناً على الحكم المستنبط، وأحياناً يختلفون في فهم الآية، فتختلف أحكامهم في المسألة التي يبحثون عن حكمها، ومع هذا الاختلاف فقد كان كل واحد من المختلفين يطلب الحق وحده، فإن ظهر له أنه في جانب من خالفه، رجع إلى رأيه وأخذ به.

ظلّ الأمر على هذا إلى عهد ظهور أئمة المذاهب الأربعة وغيرها، وفيه جدّت حوادث كثيرة للمسلمين لم يسبق لمن تقدمهم حكم عليها، لأنها لم تكن على عهدهم، فأخذ كل إمام ينظر إلى هذه الحوادث تحت ضوء القرآن والسنة وغيرهما من مصادر التشريع، ثم يحكم عليها بالحكم الذي ينقدح في ذهنه، وكانوا يتفقون فيما يحكمون به أحياناً، وأحياناً يختلفون حسبما يتجه لكل منهم من الأدلة.

غير أنهم مع كثرة اختلافهم في الأحكام لم تظهر منهم بادرة التعصب للمذهب، فهذا هو الشافعي رضي الله عنه كان يقول: إذا صح الحديث فهو رأيي، وكان يقول: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة.. إلى غير ذلك، مما يدل على انتشار روح التقدير والحب بين أولئك الفقهاء، وهذه سنة أسلافهم من الصحابة والتابعين.

ثم خلف بعد هؤلاء الأئمة خَلْف سرت فيهم روح التقليد لهؤلاء الأئمة، التقليد الذي يقوم على التعصب المذهبي ولا يعرف التسامح، ولقد بلغ الأمر ببعض هؤلاء المقلدة إلى أن نظروا إلى أقوال أئمتهم كما ينظرون إلى نص الشارع، فوقفوا جهدهم العلمي على نصرة مذهب إمامهم وترويجه، وبذلوا كل ما في وسعهم لإبطال مذهب المخالف وتفنيده، وإلا فلا أقل من أن يؤولها تأويلاً يجعلها به لا تصلح أن تكون في جانب مخالفيه، وأحياناً يلجأ إلى القول بالنسخ أو التخصيص، وذلك إن سدت عليه كل مسالك التأويل.

ومع هذا الغلو في التعصب المذهبي، فإننا لم نعدم من المقلدين من وقف موقف الإنصاف من الأئمة، الذي يساير الدليل حتى يصل به إلى الحق أياً كان قائله، وكان لهذا أثر كبير في التفسير حيث نشأ التنوع في التفسير الفقهي، وقد بدأ هذا التنوع نظيفاً من التعصب، ثم لم يلبث أن تلوث به حتى أدى ببعضهم إلى التعسف في التأويل، والخروج بالألفاظ القرآنية عن معانيها ومدلولاتها.

نماذج من كتب التفسير الفقهي القديمة[1]:

١ ــ أحكام القرآن، للجصاص:

المؤلف: أبو بكر، أحمد بن علي الرازي، المشهور بالجصاص، ولد

---

(١) انظر: كشف الظنون (١/ ٥٦) وما بعدها، مفتاح السعادة (٢/ ٢٧٥)، لمحات في المكتبة العربية (١٥٤) للاستزادة في التعريف بهذه الكتب.

ببغداد سنة ٣٠٥هـ، كان إمام الحنفية في وقته، أخذ عن أبي سهل الزجاج وعن أبي الحسن الكرخي، وعن غيرهما من فقهاء عصره، وكان على طريق الكرخي في الزهد.

وقد ترك مصنفات كثيرة أهمها: كتاب أحكام القرآن، وشرح مختصر الكرخي، وشرح مختصر الطحاوي، وشرح الجامع الكبير، وكتاب أصول الفقه.

وقد كان الجصاص من خيرة العلماء الأعلام، وإليه يرجع كثير من الفضل في تدعيم مذهب الحنفية على البراهين والأدلة، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٣٧٠هـ.

الكتاب: يعد هذا التفسير من أهم كتب التفسير الفقهي، خصوصاً عند الحنفية، يعرض الكتاب لسور القرآن كلها، ولكنه لا يتكلم إلا عن الآيات التي لها تعلق بالأحكام فقط، وهو مبوّب كتبويب الفقه، ولا يقتصر في تفسيره على ذكر الأحكام التي يمكن أن تستنبط من الآيات، بل يستطرد إلى كثير من مسائل الفقه والخلافيات بين الأئمة، مع ذكر الأدلة بتوسع كبير، مما جعل كتابه أشبه ما يكون بكتب الفقه المقارن، وكثيراً ما يكون هذا الاستطراد إلى مسائل فقهية لا صلة لها بالآية إلا عن بعد.

ثم إنه متعصب لمذهب الحنفية إلى حد كبير، مما جعله في هذا الكتاب يتعسف في تأويل بعض الآيات حتى يجعلها في جانبه، أو يجعلها غير صالحة للاستشهاد بها من جانب مخالفيه، ومع هذا التعصب فهو ليس عفّ اللسان مع الإمام الشافعي رضي الله عنه، ولا مع غيره من الأئمة، وكثيراً ما نراه يرمي الشافعي وغيره من مخالفي الحنفية بعبارات شديدة لا تليق من مثل الجصاص في مثل الشافعي وغيره من الأئمة رحمهم الله.

والجصاص يميل أحياناً إلى شيء من عقائد المعتزلة كنفي السحر ونفي رؤية الله تعالى، مخالفاً في ذلك عقيدة أهل السنة والجماعة.

٢ ـ أحكام القرآن، للكيا الهراسي:

المؤلف: عماد الدين، أبو الحسن، علي بن محمد بن علي الطبري، المعروف بالكيا الهراسي، الفقيه الشافعي، المولود سنة ٤٥٠هـ، أصله من خراسان، ثم رحل عنها إلى نيسابور، وتفقه على إمام الحرمين الجويني مدة حتى برع، ثم خرج من نيسابور إلى بيهق، ودرس بها مدة، ثم خرج إلى العراق، وتولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد إلى أن توفي سنة ٥٠٤هـ، وكان فصيح العبارة، حلو الكلام، محدثاً، يستعمل الأحاديث في مناظراته ومجالسه.

الكتاب: يعتبر هذا التفسير من أهم المؤلفات في التفسير الفقهي عند الشافعية؛ وذلك لأن مؤلفه شافعي لا يقل في تعصبه لمذهبه عن الجصاص بالنسبة لمذهب الحنفية، مما جعله يفسر آيات الأحكام على وفق قواعد مذهبه الشافعي، ويحاول أن يجعلها غير صالحة لأن تكون في جانب مخالفيه، وهو يسوغ تعصبه هذا بقوله: وإن الشافعي بنى مذهبه على كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

غير أن الهراسي كان عفّ اللسان والقلم مع أئمة المذاهب الأخرى، ومع كل من يتعرض للرد عليه من المخالفين، فلم يخض فيهم كما خاض الجصاص في الشافعي وغيره، إلا أنه وقف من الجصاص موقفاً كان فيه شديد المراس، قوي الجدال، قاسي العبارة، إذ إنه عرض لأهم مواضع الخلاف التي ذكرها الجصاص في تفسيره وعاب فيها مذهب الشافعي، ففنّد كل شبهة أوردها، ودفع كل ما وجهه إلى مذهب الشافعي بحجج قوية يسلم له الكثير منها.

٣ ـ أحكام القرآن، لابن العربي المالكي:

المؤلف: القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الأندلسي الإشبيلي المالكي، المشهور بابن العربي ولد سنة ٤٦٨ هـ وتوفي سنة ٥٤٣ هـ.

الكتاب: يعد الكتاب تفسيراً مهماً من الناحية الفقهية بشكل عام وللمذهب المالكي بشكل خاص.

وهو تفسير فقهي مرتب على سور القرآن الكريم، فيذكر السورة ثم يذكر عدد الأحكام التي وردت فيها، ثم يبدأ بشرحها آية آية مبيناً المسائل الفقهية فيها مع تفصيل القول في كل مسألة ليستخلص منها الأحكام.

تبدو ملامح الإنصاف على الكتاب بشكل عام إلا أنه في بعض المواضع تأخذ المؤلف العاطفة المذهبية فيتعصب لمذهبه ويدافع عنه ويرد على مخالفيه ويناقش حججهم.

والمؤلف عالم محقق، حاذق باللغة العَربية، يعتمد عليها كثيراً في تفسيره ويحتكم إليها في استنباط المعاني من الآيات، كما يعتمد على الأحاديث المؤيدة للحكم ويوثقها أو يجرح الرواة فيها، وينفر من الأحاديث الضعيفة، ويحذر من الاعتماد عليها، كما أنه شديد النفرة من الإسرائيليات ويتجنب الخوض فيها، ويكشف خطرها والزيغ فيها.

٤ ـ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي[(١)].

نماذج من كتب التفسير الفقهي المعاصرة:

١ ـ روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن، محمد علي الصابوني.

٢ ـ تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس.

---

(١) سبق الحديث عنه ص (٨٥) من هذا الكتاب.

المبحث الثامن

التفسير العلمي بين القديم والحديث

المقصود بالعلم في مصطلح (التفسير العلمي).

تعريف التفسير العلمي.

آثار التفسير العلمي.

آراء العلماء بالتفسير العلمي.

خلاصة القول.

أشهر كتب التفسير العلمي القديمة.

أشهر كتب التفسير العلمي المغالية في العصر الحديث.

أشهر كتب التفسير العلمي المعتدلة في العصر الحديث.

حدود وتعريفات:

١ ـ المقصود بالعلم في مصطلح (التفسير العلمي):

هو العلوم الكونية، والمعارف والصنائع وما جدَّ وما يجدُّ في العالم من فنون ومعارف كعلم الهندسة والحساب، والهيئة والاقتصاد، والاجتماع والطبيعة، والكيمياء والحيوان، والنبات، وعلم طبقات الأرض، وهناك من أضاف إلى ذلك الناحية النفسية، وكيف أن القرآن نزل ليقود النفس طبق قوانين الفطرة، والناحية التشريعية، وكيف نزلت أحكام القرآن طبق قوانين الفطرة للأفراد والجماعات.

كما يشمل الناحية التاريخية التي لم يكن يعلمها البشر عند نزول ما اتصل بها من آيات القرآن، ثم كشف عنها التنقيب الأثري فيما بعد.

٢ ـ تعريف التفسير العلمي[(١)]:

هو التفسير الذي يتحدث عن الاصطلاحات العلمية في القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها، ويحاول فيه المفسر فهم عبارات القرآن في ضوء ما أثبته العلم، والكشف عن سر من أسرار إعجازه، من حيث إنه تضمن هذه المعلومات العلمية الدقيقة التي لم يكن يعرفها البشر وقت نزول القرآن؛ فدل ذلك على أنه ليس من كلام البشر ولكنه من عند خالق البشر.

وقد كان لهذا النوع من التفسير آثار كبيرة أهمها:

١ ـ بيان معاني القرآن الكريم وهدايته في ضوء العلوم المختلفة.

٢ ـ الدلالة على كثير من وجوه إعجاز القرآن بما يشتمل عليه من العلوم الكونية والاجتماعية.

---

(١) انظر: التفسير العلمي للقرآن في الميزان، أحمد أبو حجر.

٣ ـ مسايرة أفكار الناس ومشاربهم بتفسير القرآن الكريم بما يشبع حاجتهم من ثقافات علمية وكونية، لأن المفسر لا يفسر لنفسه وإنما يفسر لغيره، فكان من مقتضى أساليب إيضاح هداية القرآن شرح ألفاظه في الظواهر الطبيعية والعلمية بالطريقة العلمية المألوفة لهم.

٤ ـ دفع ما يزعمه أعداء الدين من أن هناك عداوة بين العلم والدين.

٥ ـ الإيمان بأن القرآن قد حوى كل ما يحتاج إليه الناس من أنواع السعادة، وأنه صالح لكل زمان، مساير لجميع العصور.

ولهذه الأسباب بدأت العلوم الكونية تدخل في التفسير وتمتزج به على اعتبار أن هداية القرآن وإعجازه لا يفهمان فهماً كاملاً إلا عن طريق ربط هذه العلوم والمعارف المختلفة بما جاء في القرآن الكريم، ولأن الله تعالى دعا الناس كثيراً أن يتأملوا في هذا الكون، وأن يقرؤوا صحيفة هذا الوجود.

آراء العلماء بالتفسير العلمي:

انقسم العلماء إزاء هذا النوع من التفسير إلى فريقين: فريق مؤيد وفريق معارض.

أ ـ المؤيدون: انطلق هؤلاء من فكرة مؤداها: أن القرآن مشتمل على كل كبيرة وصغيرة من العلوم المختلفة؛ لقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] **وقالوا:**

١ ـ إن القرآن الكريم هو حجة الله البالغة على عباده، وموضع الحجة فيه إعجاز الخلق، والإنسانية كلها مخاطبة به، والإنسانية العجم فيها أكثر من العرب، ولا بد أن يتضح إعجاز القرآن لكل إنسان؛ إذن لا بد أن يكون لإعجاز القرآن جوانب أخرى غير الإعجاز البلاغي، تلك الناحية هي الناحية العلمية.

٢ ـ إن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم يُعجزُ الملحدين عن أن يجدوا فيه

موضعاً للتشكيك، فإن الحقيقة العلمية التي يذكرها القرآن لا بد أن تقوم عند كل ذي عقل دليلاً محسوساً على أن خالق هذه الحقيقة هو منـزل القرآن.

٣ ـ إن العلم الحديث الذي ظهر بعد نزول القرآن قد أيّد ما جاء فيه من العلم الدقيق بالكائنات، وأقام من نفسه شاهداً على صحة ما جاء في القرآن من قبله، ولم يعارضه في شيء.

٤ ـ إن التفسير العلمي هو الذي يقينا من تعليل بعض الظواهر الكونية تعليلاً باطلاً غير صحيح، وذلك مثل ما ذكرته بعض كتب التفسير بالمأثور وغيره أن الرعد اسم لملك يسوق السحاب، وأن الصوت المسموع منه صوت زجره السحاب، وأن البرق أثر المخراق الذي يزجر به السحاب.وما قيل أيضاً في الأرض وأنها مستقرة على ظهر حوت، وما يتعلق بالأجرام السماوية ومن أي العناصر تكوينها، وما يعللون به برودة ماء الآبار في الصيف وسخونتها في الشتاء، وعن منشأ السحاب، مما يعود على الإسلام بالضرر والنقص، وينفر عنه المفكرين وذوي العلم والمعرفة.

وهم مع ذلك قد نبهوا إلى أمرين مهمين:

١ ـ أنه لا ينبغي في فهم الآيات الكونية من القرآن الكريم أن نعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا كانت القرائن الواضحة تمنع من حقيقة اللفظ وتحمل على مجازه.

٢ ـ ينبغي أن لا نفسر كونيات القرآن إلا باليقين الثابت من العلم، لا بالفروض ولا بالنظريات التي لا تزال موضع فحص وتمحيص.

ولكن بعض المتحمسين لهذا النوع من التفسير قد دفعهم الحماس إلى تفسير بعض الآيات القرآنية تفسيراً علمياً جافاً بعيداً عن روح القرآن وأهدافه النبيلة ولا يستند إلى دليل معقول، فحين يظهر مكتَشَف من المكتشفات العلمية يسارع هؤلاء فيقتطعون من كتاب الله ما يوهم صاحب النظر المتسرع أنه يسير مع المكتشف الحديث، ويدّعون أن كتاب الله تعالى قد ألقى إليهم بأسراره، فهم قادرون على أن يستنبطوا منه قضايا العلم الحديث دون أدنى مراعاة منهم

لشروط التفسير السليم لكتاب الله العزيز، وهم مبالغون في دعواهم، ويكتبون بلا رويّة ولا تأمل، فيصيبون في ناحية ويخطئون في أخرى، أو يدّعون ما لم يؤكده العلم ولم يثبته، والظن لا يغني من الحق شيئاً، وربما كانت هذه الأخطاء سبباً في حمل كثير من العلماء على التفسير العلمي لآيات القرآن الكريم وكان الواجب على الذين يفسرون القرآن الكريم بالتفسير العلمي أن يأخذوا أنفسهم بالكثير من الحذر والحيطة، فالنزعة التي أخذوا بها أنفسهم نزعة صعبة المراس محفوفة بالأخطار، في حاجة ماسة إلى الوعي والاستقصاء، والتسلح لتفسير كتاب الله لا بالعلم الذي نبغوا فيه فقط ولكن بالعلوم الدينية والعربية.

ب ـ المعارضون: أما المعارضون فقد استدلوا على منع هذا النوع من التفسير بما يلي:

١ ـ يجب الوقوف بعبارات القرآن عندما فهمه العرب الخُلّص، ولا نتجاوز ما أَلِفوه من علومهم وأدركوه من معارفهم؛ لأن البلاغة هي مراعاة مقتضى الحال.

٢ ـ إن مهمة القرآن دينية اعتقادية وليست علمية.

٣ ـ ينبغي الاستفادة من النظريات العلمية دون إقحامها على القرآن الكريم، أو اعتبار أن القرآن مطالب بموافقتها كلما تغيرت من زمن إلى زمن ومن تفكير إلى تفكير.

وماذا لو علّقنا صحة القرآن الكريم بصحة هذه النظريات ثم تبين بطلانها؟!!.

٤ ـ التفسير العلمي يحمل أصحابه على تأويل القرآن تأويلاً متكلفاً يتنافى مع الإعجاز، ولا يسيغه الذوق السليم.

٥ ـ وإذا قلنا: إن بعض الآيات القرآنية تحوي أصول العلوم الحديثة، فمعنى هذا أن القرآن الكريم تحدى أناساً عاجزين ليس لهم حظ في العلوم

بالمعنى الدقيق، ومن ثم يكون التحدي باطلاً من أساسه، وهذا مخالف للقرآن نفسه، ولا يقول به أحد.

وخلاصة القول في هذا الموضوع كما يلي:

أولاً: إن الذين جروا وراء النظريات العلمية في حقها وباطلها مجانبون للصواب، والذين منعوا الاستفادة من حقائق العلم في إيضاح حقائق القرآن مجانبون للصواب.

ونحن لن نذهب إلى ما ذهب إليه الأولون ولا إلى ما ذهب إليه الآخرون، فلن نتجاهل الحقائق العلمية في القرآن، وفي الوقت نفسه لا نلتمس لكل مسألة علمية آية من كتاب الله زاعمين بذلك أنها توافق ما قال به العلم.

كما قال الشيخ المراغي: (يجب ألا نجر الآية إلى العلوم كي نفسرها، ولا العلوم إلى الآية كذلك، ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها).

ثانياً: إن الحقيقة العلمية إن لم يكن في القرآن ما يؤيدها فليس فيه ـ قطعاً ـ ما يعارضها، وقد يكون هناك خلاف بين القرآن وبين بعض النظريات العلمية التي لم تبحث ولم تدرس بعد دراسة كاملة.

ثالثاً: إن القرآن في تناوله لتلك الحقائق العلمية لم يقصد البيان العلمي، بمعنى أن يعلمنا الكيمياء أو الهندسة أو الطبيعة مثلاً؛ لأن القرآن كسائر الكتب السماوية ليست مهمته البحث في الشؤون الكونية والمسائل العلمية والفنية على الشكل المألوف في الكتب الخاصة الموضوعة فيها، وإنما يهدف من وراء ذلك إلى ما هو أعظم من ذلك بكثير وهو تقرير حقيقة الألوهية الحقة للذي خلق هذا الكون بما فيه من إبداع وإتقان؛ ولهذا تجده يمس حقائق الكون الموجودة مساً يؤدي إلى العبرة والعظة، أما تعلم تلك الحقائق والكشف عن خباياها فهو نشاط ذهني متروك لنا لا علاقة للقرآن الكريم به إلا من حيث الحث عليه والأمر به.

أشهر الكتب التي تضمنت تفاسير علمية في العصر القديم:

مفاتيح الغيب لمؤلفه فخر الدين الرازي:

طبق فخر الدين الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) ما جدّ في البيئة الإسلامية من ثقافة فكرية على آيات القرآن الكريم، مستدلاً بذلك على وحدانية الله تعالى وقدرته وإرادته وواسع علمه.

وقد كان الغزالي ومن قبله قد وضعوا الأسس النظرية للتفسير العلمي أما الرازي فقد طبق ذلك عملياً، ومن الأمثلة على ذلك ما قاله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤]، حيث يستدل بهذه الآية على وجود الله وعلى وحدانيته وبراءته من الضد والند، ويجد فيها ثمانية أنواع من الدلائل على ذلك ويعددها كما جاءت في الآية، فبدأ بالنظر في أحوال السماء فطرق موضوعات كثيرة من علم الفلك، وعقد لذلك فصولاً، الفصل الأول: في ترتيب الأفلاك، والثاني: في معرفة الأفلاك، والثالث: في مقادير الحركات، والرابع: في كيفية الاستدلال بهذه الأحوال على وجود الصانع.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى بيان معرفة الأفلاك ومقادير حركاتها، ويستعرض في ذلك آراء بطليموس وآراء الفلكيين القدماء من الهنود والصينيين والبابليين والمصريين، وعلماء الروم والشام، ويعترض عليهم أحياناً.

ثم يرجع إلى الأرض ويذكر في أحوالها فصلاً، وفي بيان دلالة هذه الأحوال على وجود الصانع فصلاً آخر، وفي بيان دلالة أحوال السماء على وجود الصانع يذكر أربعة عشر وجهاً ترجع جميعها إلى أن الأفلاك رغم اتفاقها في الطبيعة الفلكية، إلا أن كلاً منها قد اختص بمقدار معين وحيّز معين، وشكل معين وحركة معينة وترتيب معين، وائتلاف معين ولون معين،

ولا بد من مخصص مدبر يخصص كلاً منها بمقداره وحيزه وشكله وحركته ولونه، ويجعلها على هذا الترتيب العجيب.

أشهر الكتب التي تضمنت تفاسير علمية مغالية في العصر الحديث

الجواهر في تفسير القرآن الكريم لمؤلفه طنطاوي جوهري:

ولد الشيخ طنطاوي جوهري عام ١٨٦٢م، وقد نشأ محباً لدينه ذا رغبة قوية في توجيه المسلمين إلى الإيمان الراسخ بالله تعالى عن طريق النظر في ملكوته وآثار نعمته ورحمته، وقد كان يؤمن بأن القرآن لا يفسر إلا بالعلم الحديث، فألّف تفسيراً للقرآن الكريم سماه: (الجواهر في تفسير القرآن الكريم) وضعه في خمسة وعشرين جزءاً، مزج فيه ـ كما قال ـ الآيات القرآنية بالعجائب الكونية.

وكثيراً ما يهيب بالمسلمين أن يتأملوا في آيات القرآن التي ترشد إلى علوم الكون، ويحثهم على العلم بما فيها، ويندد بمن يُغفِل هذه الآيات على كثرتها، وينعي على من أغفلها من السابقين، ووقف عند آيات الأحكام وغيرها مما يتعلق بأمور العقيدة، ويكرر هذا القول في كثير من مواضع الكتاب.

وهو في تفسيره يبدأ بالتفسير اللفظي للآيات التي يعرض لها، ثم يتلوه بالشرح والإيضاح والكشف، متوسعاً في الفنون العصرية والعلوم الكونية، كما ينقل عن التوراة والإنجيل كثيراً، ويرد على بعض النصارى والمستشرقين، كما يستشهد بكلام علماء العرب، وكثيراً ما يضع في تفسيره صور النباتات والحيوانات، ومناظر الطبيعة والتجارب العلمية والجداول الإحصائية.

وقد طبق في تفسيره للقرآن الكريم النظريات العلمية الحديثة، واستخرج هذه النظريات من القرآن، فجاء تفسيره مزيجاً من علوم الأمم قديماً وحديثاً، مع التوافق بين الآراء الحديثة والأفكار الدينية.

ومن ضمن ما جاء في تفسيره لسورة الفاتحة قوله: (الشريعة الإسلامية والنظر في الآفاق وفي الأنفس) وتحت هذا العنوان كتب صحيفة ونصف الصحيفة في الحض على النظر في آيات العلوم الكونية القرآنية، وذكر أننا ينبغي أن ندرس علوم الهيئة والفلك والحساب والهندسة، وعلم المعدن والنبات والحيوان وسائر علوم هذه الدنيا، وأن دراستها من الدين، فيكون علم الدين على قسمين:

العلم الأول: علم الآفاق والأنفس.

العلم الثاني: علم الشريعة.

وبذلك ترى العالم الديني شارحاً للنبات والحيوان، وهذا من قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٢].

ومن قوله في سورة الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ ذكر في معنى قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أنه تعالى مربي العوالم كلها ومرقّيها من حال النقص إلى حال الكمال وغايات التمام، فهو الذي يتعهد النباتات بالتغذية والإنماء، وهكذا الحيوان والإنسان، وكذا العوالم العلوية، وهذه هي التربية التي كان مبدؤها الرحمة، ثم ذكر عدداً من المسائل في هذه التربية، الأولى: في الذرة، والثانية: في تربية الثمرة في النخلة، والثالثة: في تربية اللؤلؤ في البحر، والرابعة: في تربية الجنين في بطن أمه، والخامسة: في تربية الولد باللبن، والسادسة: في التربية الطبية، والسابعة: في التربية بالمدارس، والثامنة: في تربية الله العقول بعلم المنطق لإدراك العلوم العالية.

وبلغ ما كتبه في ذلك أربع صحائف، ثم تكلم عن معنى العالمين، فعرّف العالم بأنه ما سوى الله تعالى، وقسمه إلى قسمين: عالم علوي وعالم سفلي، والعلوي: هو الكواكب والشمس والقمر والسيارات وأقمارها، ثم وضح ذلك بضرب مثل، ثم قال:

وهذه الشموس وحركاتها ونظامها لا يتسنى لك معرفتها إلا بعلم العدد

والحساب، والهندسة وعلم الجبر والفلك: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ [يونس: ٥] ثم تكلم عن العالم السفلي وقال: إنه ما في البر من مخلوق حي وما في الأرض من معدن ونبات وحيوان وإنسان كل ذلك يدعى العالم السفلي، ثم تكلم عن عالم البحار بإسهاب، ثم ذكر النبات والحيوان وعلم التشريح وقال: ألا فليعلم المسلمون أنهم لا يحمدون الله حق حمده، ولا يشكرونه حق شكره إلا إذا درسوا هذه العلوم وعرفوا ما تفرع عنها، وانتفعوا بها ونفعوا الناس بفوائدها.

والشيخ الطنطاوي جوهري ـ فوق هذا ـ ينخدع بدعوى علم تحضير الأرواح ودعاته، بل ويؤمن به ويدافع عنه ويستنبطه من القرآن، فهو عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [البقرة: ٦٦] نجده يعقد بحثاً في عجائب القرآن وغرائبه فيذكر ما انطوت عليه هذه الآيات من عجائب ويذكر من بينها (علم تحضير الأرواح).

والمناسبة التي يستطرد منها إلى هذا البحث هي إحياء الله لقتيل بني إسرائيل لما ضُرب بشيء من لحم البقرة التي أُمروا بذبحها.

والحقيقة أن علم تحضير الأرواح علم كاذب، فلا يوافق الدينُ على الإيمان به فضلاً عن جعله تفسيراً لآية من القرآن الكريم، ولا يعترف بأخبار الأرواح التي تحضر عن طريقه، فهي أرواح جن تكذب بادعائها أنها الأرواح المطلوب إحضارها ومكالمتها، وكيف يمكن أن تكون صادقة وهي تقول عن نفسها أخباراً غير مطابقة لحالتها التي كانت عليها في الحياة؟ وكيف يمكن استحضار الأرواح حقيقة في حين أن السلطان عليها لله وحده؟!.

وهكذا تتضح النزعة العلمية التي سيطرت على قلم المؤلف واضحة جلية، وقد أُخذ عليه كثرةُ الاستطراد والتوغل في قضايا لا تستفاد من الآيات

التي يفسرها، وإنما جعل فيها منافذ ينفذ منها إلى مباحث أخرى صارت لبعدها عن موضوع الآية كأنها عناوين لمقالات هامشية.

أشهر الكتب التي تضمنت تفاسير علمية معتدلة في العصر الحديث

مدخل إلى القرآن الكريم لمؤلفه عبد الله دراز:

ساق المؤلف في كتابه أدلة كثيرة على أن القرآن من عند الله ومنها الحقائق العلمية فيقول في ذلك: إن القرآن في دعوته إلى الإيمان والفضيلة لا يسوق الدروس من التعاليم الدينية والأحداث الجارية وحدها، وإنما يستخدم في هذا الشأن الحقائق الكونية الدائمة، ويدعو عقولنا إلى تأمل قوانينها الثابتة لا بغرض دراستها وفهمها في ذاتها فحسب وإنما لأنها تذكر بالخالق الحكيم القدير.

ونلاحظ أن هذه الحقائق التي يقدمها تتفق تماماً مع آخر ما توصل إليه العلم الحديث:

١ ـ **المراحل التي يمر بها الإنسان وهو في بطن أمه:** ﴿خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ﴾ [الحج: ٥].

٢ ـ **عدد التجويفات المظلمة التي يتم الخلق بداخلها:** ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍۚ﴾ [الزمر: ٦].

٣ ـ **المنشأ المائي لجميع المخلوقات الحية:** ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

٤ ـ **تكوين المطر:** ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦۖ﴾ [الروم: ٤٨].

٥ ـ **دائرية السماء والأرض:** ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِۖ﴾ [الزمر: ٥].

٦ ـ **كروية الأرض غير المكتملة عند الأقطاب**: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٤].

٧ ـ **مسير الشمس إلى نقطة معلومة**: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَآ﴾ [يس: ٣٨].

٨ ـ **تعايش الحيوانات في جماعات تشبه المجتمعات الإنسانية**: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨].

٩ ـ **وصف حياة النحل بصفة خاصة**: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ [النحل: ٦٨ ـ ٦٩].

١٠ ـ **ثنائية النبات والمخلوقات الأخرى**: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يس: ٣٦]، وهي حقيقة علمية لم تكن معروفة في عصر الرسول ﷺ.

١١ ـ **التلقيح بوساطة الرياح**: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢].

وبعد استشهاده بهذه الآيات على موافقة الحقائق القرآنية للحقائق العلمية التي توصل إليها العلم في العصر الحديث، قال: (**إن الأمثلة السابقة هذه لا تتطلب تفسيراً أو تأويلاً، وإنما تتضمن تطابقاً عجيباً بين التوضيح القرآني ذاته، وبين التوضيح العلمي الذي ثبت بعد بحوث طويلة خلال العصور والأجيال التي انتهت إلى النتائج المقطوع بصحتها بفضل إسهام رجال متخصصين كلٌّ في فرعه المحدد**).

كتب أخرى:

- وظهرت بعد ذلك كتب وموسوعات بمسميات مختلفة تتضمن الحديث عن إعجاز القرآن وربط ذلك الإعجاز بالعلوم العصرية المكتشفة حديثاً ولم تقدم تلك الكتب على أنها تفاسير للقرآن الكريم إنما أتت بالآيات التي فيها موضع الإعجاز وشرحتها مقترنة بما جاء في العلوم .ومن تلك الكتب:

- الإعجاز العلمي في القرآن، محمد سامي محمد علي.

- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد.

- مع الطب في القرآن الكريم، الطبيبان دياب وقرموز.

- الطب محراب الإيمان، خالص جلبي.

- الإشارات العلمية في القرآن، محمد وفا الأميري.



المبحث التاسع
التفسير المعاصر

تعريف التفسير المعاصر.

ألوان التفسير المعاصر.

التحليلي.

الإجمالي للآيات.

الإجمالي للسورة.

المقارن.

الموضوعي بنوعيه.

الوحدة الموضوعية للسورة.

علم المناسبات والتفسير الموضوعي.

تعريف المناسبة لغة واصطلاحاً.

أهمية علم المناسبات.

آراء العلماء فيه.

أهم المؤلفات في علم المناسبات.

أقسام المناسبات.

أشهر الكتب في التفسير المعاصر بشكل عام.

نماذج من كتب التفسير الموضوعي.

تعريف التفسير المعاصر:

خطا التفسير في العصر الحديث خطوات جديدة، تتمثل في محاولة الجمع بين الرواية والدراية، وطرح الخلافات المذهبية والمناقشات الكلامية، ونبذ كل ما يتصل بالإسرائيليات، وربط القرآن بالحياة الإنسانية، والمشكلات الاجتماعية، وتجلية الصورة الأدبية والتعبير الفني في هذا الكتاب المعجز، وتوضيح القضايا الكلية والخصائص التشريعية له، وأن ما جاء به هو وحده الصراط المستقيم والدستور القويم، والمنهج الذي لا يرقى إلى مستواه منهج آخر في شمولية التفنين، والصلاحية الدائمة للتطبيق.

وقد اتصف التفسير المعاصر بإسقاط مفاهيم العصر الاجتماعية على مباحث علم التفسير، كالعدالة الاجتماعية وحقوق المرأة، وقضايا الأسرة، وغير ذلك.

كما اتصف بإسقاط مفاهيم العصر السياسية من ديمقراطية وشورى وحرية فردية... لإثبات أن هذه المفاهيم إنما هي مستوحاة من القرآن الكريم، وأن تطبيقها لا يعني إلا تطبيق النصوص الشرعية، ولا حاجة لنظريات وضعية بشرية لسياسة المجتمعات.

وبذلك فقد حاول المفسرون المعاصرون تطبيق إصلاح تربوي ودعوي من خلال تفاسيرهم وكان مما يميز بعض تلك التفاسير اللمحات الأدبية، واللمسات الفنية الرائعة التي سيطرت على أسلوب مؤلفيها.

ومن ثم فإن المفسرين المحدثين حاولوا الأخذ بعموم المعاني لا بخصوص الأسباب التي نزلت في شأنها الآيات، كما اعتمدوا على نتائج العلوم الثابتة، وظروف العصر ومتطلباته، وذلك كله في أسلوب ميسر يفهمه جمهور المثقفين، ولا يهتم اهتماماً كبيراً بالقضايا النحوية والنكات البلاغية، والتفسيرات الجزئية، وغير هذا مما كان موضع اهتمام بعض القدماء، إن لم يكن جمهورهم من المفسرين، الأمر الذي جعل التفسير في بعض أحيانه أقرب إلى التطبيقات العربية، منه إلى التفسير الذي يجعل هدفه الأعلى تجلية

هدايات القرآن وتعاليمه وحكمة الله فيما شرع للناس في هذا القرآن على وجه يجتذب الأرواح، ويفتح القلوب، ويدفع النفوس إلى الاهتداء بهدي الله سبحانه وتعالى.

ألوان التفسير المعاصر:

لم يكن للتفسير المعاصر لونٌ واحدٌ يتميز به، بل كان على أبواب كثيرة وصور متعددة ولعل للعصر دوراً كبيراً في تعدد ألوان التفسير، حيث كثرت أساليب الكتابة، وفنون الاتصال، وتطورت العلوم تطوراً سريعاً مما دعا المفسرين إلى مواكبة هذا التطور وتقديم التفسير بأساليب متنوعة متطورة تساير ركب العصر الحديث، وتستطيع أن توفر للجيل تفسيراً يقبلون عليه كلٌّ بما يتناسب مع قدرته العلمية وميوله وإدراكه.

وكانت نتيجة ذلك التنوع أن برزت أنواع أساسية من التفسير منها:

١ ـ التفسير التحليلي:

وهو ليس تفسيراً معاصراً ولكن تسميته هي المعاصرة، وهو أن يلتزم المفسر تسلسل النظم القرآني، والسير معه سورة سورة وآية آية، ويراعي فيه المفسر الترتيب التعبدي لآيات السورة، أو لآيات قطاع معين داخل السورة الواحدة.

كما يتم فيه تطبيق علم المناسبة بين الآيات والسور وتوظيف سائر علوم الشريعة واللغة والبلاغة لخدمة النص القرآني على سبيل القصد والاعتدال دون أن يطغى جانب على جانب.

أما أدوات هذا اللون فهي:

علم مفردات القرآن، القراءات، البلاغة (البديع والمعاني والبيان)، الإعراب، الصرف، المناسبات، أسباب النزول، الناسخ والمنسوخ، والأحكام المستنبطة من الآيات بإجمال أو بتفصيل، ثم الهدايات والفوائد

التي يمكن أن يستفاد منها في الآيات. من الكتب في هذا النوع: التفسير المنير د. وهبة الزحيلي، وأنوار الإسراء للمؤلفة.

٢ ـ التفسير الإجمالي لآيات السورة:

هو أن يقسم المفسر السورة إلى مجموعات من الآيات تتناول كل مجموعة موضوعاً واحداً، فيفسرها تفسيراً إجمالياً، مبرزاً مقاصدها، موضحاً معانيها، مظهراً مراميها، حيث يعنون لهذه المجموعة بعنوان يبرز موضوعها الأساسي، ثم يشرح هذا الغرض، ويجعل بعض ألفاظ الآيات رابطاً بين النص وبين تفسيره، فيورد بين الفينة والأخرى لفظاً من ألفاظ النص القرآني لإشعار القارئ أو السامع بأنه لم يبعد في تفسيره عن سياق النص القرآني، ولم يجانب ألفاظه وعباراته، ومشعراً بما انتهى إليه في تفسيره من النص. ومن الكتب في هذا النوع: تفسير المراغي.

٣ ـ التفسير الإجمالي للسورة:

وهو تفسير يعنى بدراسة السورة بشكل عام ويجمل أبرز الموضوعات التي طرحتها السورة. أهم الكتب في هذا النوع: إيجاز البيان للصابوني، وقبسات من الذكر الحكيم للمؤلفة.

٤ ـ التفسير المقارن:

هو أن يعمد المفسر إلى جملة من الآيات في موضع واحد من سورة واحدة، يورد أقوال المفسرين السابقين لها، ويوازن بينها ويقارن وينقد الضعيف ويؤيد الصحيح، ثم يضيف آراء المفسرين المعاصرين، ويحاول استخراج تفسير واضح يجمع بين القديم والمعاصر مع حذف الضعيف وإزالة السقيم.

وهذا التفسير ـ بحسب اطلاعي ـ لم يوجد منه إلا دراسات بسيطة في بعض الرسائل الجامعية أو الدراسات والأبحاث العلمية.

٥ ـ التفسير الموضوعي:

هو نوع من التفسير يبحث في قضايا القرآن الكريم المتحدة معنى أو غاية عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة لبيان معناها، واستخراج عناصرها وربطها برباط جامع.

وقد وجدت لبنات هذا اللون من التفسير وعناصره الأولى منذ عصر التنزيل في حياة رسول الله ﷺ فيما يسمى بتفسير القرآن بالقرآن حيث كان رسول الله ﷺ إذا سئل عن تفسير آية فسرها بآيات تشابه معناها، وكذلك كان يفعل صحابة رسول الله ﷺ.

وقد جمع الفقهاء الآيات ذات الصلة بموضوع واحد في كتبهم الفقهية تحت عنوان جامع لها، كالوضوء والصلاة والبيوع... وغيرها، وكل ذلك كان لوناً من ألوان التفسير الموضوعي في خطواته الأولى.

كما كانت هناك دراسات أخذت طابعاً لغوياً، ودراسات جمعت الناسخ والمنسوخ، وما جمع من أسباب النزول، وأمثال القرآن، فكان ذلك تطوراً للتفسير الموضوعي في خطوات تالية.

ولا زال هذا الخط من التفسير الموضوعي مستمراً إلى يومنا هذا، وقد توجهت أنظار الباحثين إلى هدايات القرآن الكريم حول معطيات الحضارات المعاصرة، وظهور المذاهب والاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية، والعلوم الكونية والطبيعية، فجمعت دراسات موضوعية تحت عناوين كثيرة مثل: الإنسان في القرآن، المرأة في القرآن، الأخلاق في القرآن....

وللتفسير الموضوعي لونان أساسيان:

اللون الأول: التفسير الموضوعي لموضوع من خلال القرآن الكريم:

وهو المشهور في عرف أهل الاختصاص وإذا أطلق اسم (التفسير الموضوعي) فلا يكاد ينصرف الذهن إلا إليه.

وهو الذي عرفناه آنفاً، حيث يتم تحديد موضوع ما يلحظ الباحث

تعرض القرآن الكريم له بأساليب متنوعة في العرض والتحليل والمناقشة والتعليق.

فيتتبع الموضوع من خلال سور القرآن الكريم، ويستخرج الآيات التي تناولت الموضوع وبعد جمعها والإحاطة بتفسيرها يحاول الباحث استنباط عناصر الموضوع من خلال الآيات الكريمة.

فينسِّق بين عناصره، ويقدم لـه بمقدمة، ويقسمه إلى أبواب وفصول ومباحث، ويستدل بالآيات القرآنية على كل ما يذهب إليه ويتحدث عنه، مع ربط ذلك كله بواقع الناس ومشاكلهم ومحاولة حلها وإلقاء الأضواء القرآنية عليها.

ويتجنب خلال بحثه التعرض للأمور الجزئية من قراءات ووجوه إعراب وبلاغة.

اللون الثاني: التفسير الموضوعي لسورة من خلال القرآن الكريم:

يبحث في هذا اللون عن الهدف الأساسي في السورة الواحدة، ويكون هذا الهدف هو محور التفسير الموضوعي في السورة.

ثم يبحث في سبب نزول السورة أو الآيات التي عرضت الموضوع الأساسي للسورة، ثم ينظر إلى ترتيب نزول السورة من بين السور، مكية أو مدنية، ثم يدرس الأساليب القرآنية في عرض الموضوع والمناسبات بين مقاطع الآيات في السورة، وسيجد الباحث أن لكل سورة شخصيتها المستقلة وأهدافها الأساسية.

الوحدة الموضوعية للسورة:

ظهر في العصر الحديث كتَّابٌ ألفوا في التفسير الموضوعي ونادوا بما يسمى بالوحدة الموضوعية للسورة فقالوا:

(إن كل سورة من سور القرآن الكريم تناولت موضوعاً معيناً تطرحه وتعالجه، وتكون به مميزة. ومن خلال التفسير الموضوعي للسورة، يحاول

الباحث الكشف عن ذلك الموضوع وبيانه؛ والتعرف على كيفية طرحه، وإبراز أجزائه وعناصره).

وذكروا أن التعرف على هذا الهدف الأساسي للسورة أو المحور الذي تدور حوله يكون من خلال عدة أمور، منها:

١ ـ التعرف على دلالة اسم السورة أو أسمائها التي ثبتت عن طريق الوحي؛ أي: بالتوقيف عن رسول الله ﷺ.

٢ ـ استعراض الأحداث البارزة أو القضايا الأساسية التي تناولتها السورة.

٣ ـ المرحلة الزمنية التي نزلت فيها السورة، حيث إن **السور المكية أكدت على تقرير أربعة أمور:**

الإيمان بالله وحده، الإيمان بالبعث بعد الموت، الإيمان بالرسالات السماوية، الدعوة إلى أمهات الأخلاق، فإن كانت السورة مكية فلا يخلو أن يكون من أهدافها الأساسية أحد هذه الأسس الأربعة أو جميعها.

والسور المدنية استهدفت ـ بالإضافة إلى ما سبق ـ بناء المجتمع الإسلامي على أسس من الإيمان والطاعة والتشريعات التفصيلية في شؤون الحياة، كما استهدفت حماية المجتمع الإسلامي من الأخطار الداخلية والخارجية، فلا تخلو سورة مدنية من قضية البناء أو الصيانة والحماية.

ولابدَّ من الإشارة إلى أن الوحدة الموضوعية لسورة يمكن أن تتحقق في السور القصيرة، حيث يمكن أن يكون لها محورٌ واحدٌ تدور حوله، أما السور الطويلة أو المتوسطة في الطول فلابد من تقسيمها إلى مقاطع أو فقرات تتحدث آيات كل مقطع عن عنصر من عناصر الهدف ثم يتم ربط هذه المقاطع وما يستنبط من هدايات من كل منها ربطاً منطقياً يبرز التماسك العضوي والترابط الفني الدقيق الذي تتميز به كل سورة من سور القرآن.

فبعض السور يمكن أن نجد لها عدة محاور تدور حولها من غير تناقض

ولا تعارض ولا تصادم، ويمكن تحديد كل محور والتعرف على دائرته من خلال زاوية الرصد التي نرصدها.

ومما يؤخذ على (الوحدة الموضوعية) الملاحظات التالية:

١ ـ إن إيجاد وحدة موضوعية للسورة أو هدف أساسي تدور في فلكه السورة قد يمنع الباحث من الاستفادة من كل المواضيع المطروحة في السورة، مع العلم أن من عادة القرآن الكريم الإشارة إلى موضوع ما دون شرح أو تفصيل، ونحن لا يمكن أن نغفل شيئاً جاء في القرآن الكريم مهما دقّ بحجة أنه ليس الأساسي.

٢ ـ يجب ألا ننسى ربط السور كلها بعضها ببعض، ولا نقع جراء البحث عن الوحدة الموضوعية للسورة بتفكيك السور عن بعضها بجعلها بُنًى مختلفة منفصلة قد صُفّ بعضها إلى جانب بعض دون مناسبة أو حكمة إلهية، سيما وأن ترتيب السور في القرآن الكريم حتماً توقيفي، ولا يؤبه للقائلين بأنه اجتهاد من الصحابة رضوان الله عليهم.

٣ ـ إن إعطاء السورة عنواناً أو هدفاً أساسياً إنما هو اجتهاد من الناظر في السورة، وبذلك تختلف الأهداف والعناوين للسورة الواحدة باختلاف الباحثين، وبالتالي فقد يكون للسورة الواحدة عدة عناوين يدّعي أصحابها أنها أساسية، ويحاول كل منهم أن يلوي أعناق الآيات ليربطها بالعنوان الذي اختاره.



علم المناسبات والتفسير الموضوعي(١)

المناسبة في اللغة: المقاربة والمشاكلة.

المناسبة في الاصطلاح: هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه.

وفي كتاب الله تعالى: هي ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها.

وفي الآيات الكريمة: هي وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها.

أهمية علم المناسبات:

وعلم المناسبات هو علم يعرف به أسرار ترتيب أجزاء القرآن الكريم وسوره وآياته، ويجعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض.

وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين، أحدهما: نظم كل جملة لوحدها بحسب التركيب، والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب(٢).

وقد اعتبر العلماء أن نسبة هذا العلم من علم التفسير مثل نسبة علم البيان من علم النحو.

آراء العلماء فيه:

أيد معظم علماء التفسير علم المناسبات وعدّوه علماً أساسياً لا ينفك

---

(١) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (٥٨). والبرهان في علوم القرآن، الزركشي (١/ ٣٥) وما بعدها.

(٢) نظم الدرر، البقاعي (١/ ٧) وما بعدها.

عنه التفسير، وهو أحد العلوم التي تظهر إعجاز القرآن من حيث السبك وترتيب الجمل بعضها وراء بعض.

إلا أنه لم يتفق كل العلماء على قبول علم المناسبات، ووجد منهم من منعه قائلاً:

إن هذا البحث تكلفٌ محض، تأباه طبيعة نزول القرآن منجماً، ولم ينقل شيء من ذلك عن سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين.

ومن أولئك المانعين (عز الدين بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ هـ) الذي قال:

(إن ربط آيات القرآن على ترتيب نزوله تكلف لا يليق، إذ إنه يشترط في حسن الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حَسَنُ الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيّف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض)[1].

وفي الرد على المانعين لعلم المناسبات قال العلماء:

إننا نسلّم أن القرآن الكريم قد أنزل في فترات متباعدة خلال ثلاثٍ وعشرين سنة مدة نزول الوحي على رسول الله ﷺ ونؤمن إيماناً جازماً أن ترتيب الآيات في السور كان بأمر من رسول الله ﷺ لكتبة الوحي، ولم يكن لأحد رأي واجتهاد في ذلك.

وإن هذا الترتيب الموحى به لم يكن جزافاً ولا اعتباطاً أو عبثاً، وننزه كلام الباري سبحانه وتعالى عن كل ذلك. والقول بوجود المناسبات أمر يحتِّمه الاعتقاد بتنزيه كلام الله سبحانه وتعالى عن الفوضى والتناقض، وقد قال الله

---

(١) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم (٦٢).

تـعـالـى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

- ولا شك أن بعض العلماء الباحثين في وجوه المناسبات قد تكلفوا أحياناً في استخراج وجه المناسبة ولكن تكلفهم هذا لا ينبغي أن يكون ذريعة لرد الوجوه المعقولة المقبولة التي ذكرها الآخرون.

أهم المؤلفات في علم المناسبات:

- أول من أظهر هذا العلم أبو بكر النيسابوري المتوفى سنة ٣٢٤ هـ حيث كان كلما قرأ آية أو قرئت عليه يقول: لـمَ جُعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟

- ثم أبو بكر ابن العربي المالكي ت (٥٤٣) هـ حيث أودع بعضاً من المناسبات في كتابه (أحكام القرآن).

- ومن المكثرين في إيراد المناسبات بين الآيات فخر الدين الرازي ت (٦٠٦) هـ في تفسيره (مفاتيح الغيب).

- خص الزركشي ت (٧٩٤) هـ في كتابه (البرهان في علوم القرآن) فصلاً خاصاً لمعرفة المناسبات.

- من أوسع المراجع في هذا العلم كتاب (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) لبرهان الدين البقاعي ت (٨٨٥) هـ حيث ذكر المناسبات بين آيات القرآن الكريم سورة سورة.

- ألف السيوطي ت (٩١١) هـ كتاباً خاصاً سماه (تناسق الدرر في تناسب السور).

- ومن المعاصرين الشيخ عبد الله محمد الصدّيق الغماري كتب كتاباً سماه (جواهر البيان في تناسب سور القرآن) ذكر فيه وجه المناسبة بين سور القرآن سورة سورة.

أقسام المناسبات:

القسم الأول: المناسبات في السورة الواحدة:

أنواعها:

١ ـ المناسبات بين الآيات المتتابعة في السورة الواحدة. مثال: قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ...﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ...﴾ [البقرة: ٢٥٦].

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ...﴾ [البقرة: ٢٥٧].

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ...﴾ [البقرة: ٢٥٨].

﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ...﴾ [البقرة: ٢٥٩].

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾ [البقرة: ٢٦١].

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗىۙ...﴾ [البقرة: ٢٦٢].

إن آية الكرسي قد بينت صفات الجلال والكمال لله سبحانه وتعالى وحده، وإذا كان الأمر بهذا الشكل من الوضوح فالعقول السليمة تؤمن به من غير حاجة إلى إكراه لوضوح البراهين، إلا أن بعض العقول قد يؤثر عليها ولاءاتها وارتباطاتها فتحرفها عن سلوك الطريق القويم فتخرجها من نور الفطرة إلى ظلمات الشرك، أما الذين آمنوا فوليُّهم الله الذي يزيد هذه الفطرة نوراً وضياء.

ومن الأمثلة على انحراف التفكير نمرود الذي زعم في نفسه الألوهية علماً أنه أدرى الناس بحقيقة عجزه، ثم تفسيره للإحياء والإماتة، ولكنه بُهِت عندما جُوْبه بأن من شأن الإله التصرف المطلق في الكون. ثم عقب على ذلك بأن حقيقة الإماتة والإحياء ما حدث لعبد الله الصالح عزير وحماره وما أجراه الله سبحانه وتعالى على يد خليله إبراهيم عليه السلام في إحياء الطيور الأربعة، ثم انتقل إلى إحياء من لون آخر وهو إحياء النفوس بالصدقة والإنفاق في سبيل الله، وموت النفوس وخنق الأجر وإماتته بالمن والأذى.

- وبعد هذا العرض للمناسبة بين الآيات السابقة في سورة البقرة، ألا نجد تلاحماً عجيباً وانتقالاً بديعاً بين الآيات مع السبك الرائع رغم تعدد الموضوعات؟!!

٢ ـ مناسبة فواتح السور لخواتيمها: حيث تبدأ السورة بأمر وتختم به أو بما يناسبه.

مثال:

افتتحت سورة الكهف بقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ [الكهف: ١ ـ ٢]. وختمت السورة بقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١٠٩ ـ ١١٠].

فالحديث في أول السورة وخاتمتها عن كلام الله تعالى الموحى به إلى نبيه محمد ﷺ.

القسم الثاني: المناسبات بين السور المتجاورة:

إن القول بوجود المناسبات بين السور يعتمد على القول بأن ترتيب

السور في المصحف توقيفي لا اجتهادي وهو الرأي المعتمد ومذهب جمهور العلماء ولا يلتفت إلى غيره ألبتة.

أنواعها:

١ ـ المناسبة بين أول السورة وخاتمة ما قبلها:

مثال:

ختمت سورة الأحقاف المكية بقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وافتتحت سورة محمد ﷺ المدنية بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [محمد: ١]. ولا يخفى الرابط بين هلاك القوم الفاسقين ووصفهم بأنهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله.

والمناسبة تكون بين السور المتجاورة وإن اختلف زمان ومكان نزولها كما سبق في المثال بين سورة مكية وما بعدها مدنية.

٢ ـ مناسبة مضمون كل سورة لما قبلها:

يقول السيوطي: إن سورة الفاتحة قد جمعت مقاصد القرآن الكريم فهي كالعنوان للقرآن الكريم وبراعة الاستهلال له[١].

كما أن بين الفاتحة والبقرة أوجهاً للمناسبة:

أ ـ ففي سورة الفاتحة: دعاء الذين خصوا الله تعالى بالعبادة والاستقامة في قولهم: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ وصراطه هو كتابه المبين الذي قال الله تعالى عنه في سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾ أي: اتبعوه لأنه هو الصراط المستقيم.

ب ـ ذكر الله سبحانه وتعالى في سورة الفاتحة الطوائف الثلاث: الذين أنعم عليهم، المغضوبَ عليهم، والضالين، وأشار في سورة البقرة إلى شؤون

---

(١) انظر: تناسق الدرر في تناسب السور، السيوطي (٧٤).

هذه الطوائف الثلاث، فذكر الذين على هدى من ربهم، وذكر الذين اشتروا الضلالة بالهدى، وذكر الذين باؤوا بغضب من الله.

٣ ـ مناسبة فاتحة السورة الأولى لخاتمة السورة الثانية:

مثال:

افتتحت سورة البقرة بذكر المتقين وأنهم المفلحون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ [البقرة: ٥]، وختمت سورة آل عمران بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وهكذا فإن الناظر في آيات القرآن الكريم يجد أنه لا توجد كلمة يتململ بها موضعها في النظم المحكم، وقد نجد الآية المدنية في السورة المكية، أو الآية تتلو الآية والفاصل في نزولهما يبلغ عدة سنوات مما يدعونا للتمسك أكثر بعلم المناسبات الذي يبرز جانباً من إعجاز القرآن الكريم، وأنه كلام الله المنزل وليس بكلام البشر، وأن هذا الترتيب للآيات في السورة أو للسور مع بعضها إنما هو تدبير من حكيم عليم.



أشهر الكتب في التفسير المعاصر[١]

١ ـ محاسن التأويل

المؤلف: جمال الدين بن محمد بن أبي بكر القاسمي، فقيه صالح، ولد سنة ١٨٦٦م في دمشق، وتوفي سنة ١٩١٤ م، ودفن في مقبرة الباب الصغير بدمشق.

عاش القاسمي عمره زمن الحكم العثماني، ونشأ في بيت دين وورع وخلق كريم، درس على طريقة القدماء، و أخذ العلوم على أيدي أئمة أعلام، وكان يأخذ نفسه بالجد والمحافظة على الوقت والمواظبة على العمل منذ كان صغيراً.

ترك مؤلفات وكتباً ورسائل تجاوزت المئة على صغر سنه وكثرة أعماله، **ومن أهم كتبه:**

تفسيره المسمى (محاسن التأويل) و(قواعد التحديث) و(موعظة المؤمنين، لخص فيه كتاب إحياء علوم الدين للغزالي).

---

(١) كل ما ذكر من الكتب المعاصرة إنما هي نماذج وليست دراسة حصرية للكتب المعاصرة، لأن هذا بحث يحتاج إلى دراسة وافية واستقراء تام يتم الآن التحضير له وسيكتب له أن يخرج إلى النور بإذن الله تعالى في أقرب وقت، وهناك كتب معاصرة لم أتعرض لها في هذا الكتاب لأنها درست بالتفصيل في كتب سابقة مثل: تفسير المنار، محمد رشيد رضا. وتفسير المراغي، محمد مصطفى المراغي. وفي ظلال القرآن، سيد قطب. وتفسير محمد عبده، وتفسير القرآن، محمود شلتوت. الأجزاء العشرة الأولى، وغيرها كثير مما ظهر ما بين (١٩٤٠-١٩٧٠) من هذا العصر.

الكتاب:

هو كتاب في التفسير ألفه القاسمي بعد اطلاعه على ما قدر له من تفاسير السابقين وعرف ما فيها من الغث والسمين، حاول فيه أن يهتم بدقائق الكتاب الكريم، فقال:

(واستخرت الله تعالى في تقرير قواعده، وتفسير مقاصده، في كتاب اسمه بعون الله (محاسن التأويل) أُودِعُه ما صفا من التحقيقات وأُوشِّحُه بمباحث هي المهمات، وأوضح فيه خزائن الأسرار، وأنقد فيه نتائج الأفكار، وأسوق إليه فوائد التقطتها من تفاسير السلف الغابر، وفرائد عثرت عليها في غضون الدفاتر، وزوائد استنبطتها بفكري القاصر مما قادني الدليل إليه وقوي اعتمادي عليه.. وقد اخترت حسن الإيجاز في حل المشكلات).

قدّم المؤلف لكتابه بمقدمة استهلكت منه جزءاً كاملاً ما يقارب (٤٠٠ صحيفة) حوت القضايا التالية:

١ ـ قاعدة في أمهات مآخذه.

٢ ـ في معرفة صحيح التفسير وأصح التفاسير عند الاختلاف.

٣ ـ إن غالب ما صح عن السلف من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.

٤ ـ في معرفة سبب النزول.

٥ ـ في الناسخ والمنسوخ.

٦ ـ في القراءة الشاذة والمدرج.

٧ ـ في قصص الأنبياء والاستشهاد بالإسرائيليات.

٨ ـ في أن كل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء.

إلى غير ذلك مما يصح أن يطلق عليه **(قسم علوم القرآن الكريم)**، ثم يبدأ المؤلف تفسيره بسورة الفاتحة ثم البقرة، وهو ينقل عمن سبقه من

المفسرين، ويهتم بالمعاني والهدايات أكثر من اهتمامه بعلوم أخرى كالنحو والصرف ويستخدم البلاغة في شرح النص وبيان إعجازه دون أن يفرد للبلاغة عنواناً خاصاً بل تأتي منسجمة مع الشرح متلائمة مع المعاني.

يبدأ تفسير السورة بمقدمة يذكر فيها تسمية السورة ومعنى التسمية وما لها من أسماء أخرى وما ورد في فضلها من أحاديث، ثم يفسر السورة آية آية وعند الضرورة يذكر المناسبات بين الآيات ثم يختم السورة ببحث صغير سماه (فوائد) يذكر فيه ما يستفاد من السورة بشتى النواحي سواء كانت فوائد فقهية أو عقدية أو اجتماعية وقد يورد أيضاً في الفوائد بعض الأحاديث التي وردت في شأنها.

٢ ـ التحرير والتنوير

المؤلف: محمد الطاهر بن عاشور، كان رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، ت (١٩٧٣ م)، وكان من أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق والقاهرة، **له مصنفات كثيرة منها**: (مقاصد الشريعة الإسلامية) و(أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و(التحرير والتنوير) الذي نحن بصدده.

الكتاب: هو تفسير من الحجم الكبير يقول عنه مؤلفه واصفاً لجهده فيه:

(فجعلت حقاً علي أن أبدي في تفسير القرآن نكتاً لم أر من سبقني إليها، وأن أقف موقف الحَكَم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها...

ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحدَ رجلين: رجل معتكف فيما شاده الأقدمون وآخر آخذ بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون، وفي كلتا الحالتين ضررٌ كثير، وهنالك حالة أخرى ينجبر بها الجناح الكسير، وهي أن نعمد إلى ما أشاده الأقدمون فنهذبه ونزيده، وحاشا أن ننقضه أو نبيده.

وقد ميزت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه وما أجلبه من المسائل العلمية، مما لا يذكره المفسرون، وإنما حسبي في ذلك عدم عثوري

عليه فيما بين يدي من التفاسير في تلك الآية خاصة، ولست أدعي انفرادي به في نفس الأمر، فكم من كلام تنشئه تجدك قد سبقك إليه متكلم).

وكان جلُّ اهتمام ابن عاشور فنَّ دقائق البلاغة الذي قال عنه: إنه لم يخصه أحد من المفسرين بكتاب كما خصوا الأفانين الأخرى، فاهتم في تفسيره ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال.

كما اهتم ببيان تناسب اتصال الآيات بعضها ببعض، حيث رأى أن من سبقه كالفخر الرازي وبرهان الدين البقاعي، قد ألفا في هذا العلم، إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآيات بما هو مقنع.

وهو يبين ما في السورة من أغراض وموضوعات، كما يبين معاني المفردات في اللغة العربية، بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثيرٍ منه قواميس اللغة، كما كشف عن كثير من معاني القرآن وإعجازه، قال عنه مؤلفه: (**فيه أحسن ما في التفاسير وفيه أحسن مما في التفاسير**)، وسماه: (**تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**). ثم اختصر هذا الاسم باسم: (**التحرير والتنوير من التفسير**).

ابتدأ المؤلف تفسيره بعشر مقدمات تكون عوناً للباحث في التفسير، وهي أشبه ما تكون بمختصرات في علوم القرآن، وهي:

الأولى: في التفسير والتأويل، وكون التفسير علماً.

الثانية: في استمداد علم التفسير.

الثالثة: في صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي ونحوه.

الرابعة: فيما يحق أن يكون غرض المفسر.

الخامسة: في أسباب النزول

السادسة: في القراءات.

السابعة: في قصص القرآن.

الثامنة: في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها.

التاسعة: في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة بها.

العاشرة: في إعجاز القرآن.

ثم يتناول سور القرآن سورة سورة، فيبدأ بذكر أسماء السورة، وبعض الأدلة على ذلك إن وجدت، ثم يذكر نزول السورة وما ورد في ذلك من أدلة، من حيث المكان والزمان والظروف المحيطة بذلك النـزول.

ثم يذكر ما جاء في فضلها وعدد آياتها، ثم محتويات السورة باختصار، وما جاء فيها من موضوعات سرداً لا شرحاً.

ثم يبدأ بالشرح المفصل للسورة من حيث المعاني اللغوية والوجوه الإعرابية والنكت البلاغية والنواحي الصرفية، وهذا يأخذ من ابن عاشور جل اهتمامه، وأكثر ما في الكتاب هو من هذا الباب.

وهو قد يروي بعض القصص الإسرائيلي عند الضرورة، لكنه يرويها رواية الحاذق الواعي الذي يميز الصحيح من السقيم.

فهو كما قال عن نفسه، يقف بين طوائف المفسرين موقف الحكم تارة لها وآونة عليها.

٣ ـ التفسير الحديث:

المؤلف: محمد عزة دروزة: مؤلف معاصر، عاش فترة الحكم الفرنسي لسورية، وسجن بسبب مشاركته بالثورة العربية الفلسطينية ضد الإنكليز، ثم هاجر إلى تركيا، ثم عاد إلى دمشق، لـه مؤلفات عديدة منها: عصر النبي ﷺ، سيرة الرسول ﷺ من القرآن، والدستور القرآني في شؤون الحياة، ثم هذا التفسير الذي نحن بصدده.

الكتاب:

هو تفسير للقرآن الكريم، رتبه المؤلف وفقاً لترتيب نزول السور لا وفقاً لترتيبها التوقيفي في المصحف، وسلك في تفسيره المنهج التالي:

١ ـ **شرح الكلمات والتعابير الغريبة**، بإيجاز دون تعمق لغوي ونحوي وبلاغي إذا لم تكن هناك ضرورة.

٢ ـ **شرح مدلول الجملة شرحاً إجمالياً**، مع الاكتفاء بعرض الهدف والمدلول، إذا كانت الجملة واضحة نظماً ولغة.

٣ ـ **إشارة موجزة إلى ماروي في مناسبة نزول الآيات** أو في صددها، وما قيل في مدلولها وأحكامها، وإيراد ما يقتضي إيراده من الروايات والأقوال، والتعليق على ما يقتضي التعليق عليه بإيجاز.

٤ ـ **إيراد ما تحتويه الآيات من مبادئ وأهداف تشريعية وأخلاقية واجتماعية وروحية**، وملاحظة مقتضيات تطور الحياة والمفاهيم البشرية.

٥ ـ **الإشارة إلى ما تضمنته الآيات** من صور ومشاهد عن السيرة والبيئة النبوية.

٦ ـ **الاهتمام ببيان المناسبات في السورة** وما بين الآيات والموضوعات في السورة من ترابط.

٧ ـ **محاولة تفسير القرآن بالقرآن** ما أمكن إلى ذلك سبيلاً، ثم بالروايات عن رسول الله ﷺ والصحابة الكرام، ثم الاستعانة بأقوال المفسرين إذا كانت متسقة مع المفهوم والسياق.

٨ ـ **حاول المفسر أن يعرض المعاني بأسلوب قريب المأخذ سهل التناول.**

٩ ـ **كان يشرح الموضوع أول مرة يرد فيها** ثم يحيل إليه كلما تعرض لتكراره.

١٠ ـ **وهو قبل تفسير كل سورة يكتب مقدمة يعرف فيها بالسورة**، ويصف محتوياتها وأهم ما امتازت به، ويبين ما في السور المكية من آيات مدنية وما في السور المدنية من آيات مكية. أما عن **ترتيب تفسيره** حسب نزول السور فيقول المؤلف: (رأينا هذا يتسق مع المنهج الذي اعتقدنا أنه الأفضل

لفهم القرآن وخدمته، إذ يمكن متابعة السيرة النبوية زمناً بعد زمن، كما يمكن متابعة أطوار التنـزيل ومراحله بشكل أوضح وأدق. وقد قلَّبنا وجوه الرأي حول هذه الطريقة وتساءلنا عما إذا كان فيها مساس بقدسية المصحف المتداول[١] فانتهى بنا الرأي إلى القرار عليها، لأن التفسير ليس مصحفاً للتلاوة من جهة، وهو عمل فني أو علمي من جهة ثانية، ولأن تفسير كل سورة يصح أن يكون عملاً مستقلاً بذاته لا صلة له بترتيب المصحف، وليس من شأنه أن يمس قدسية ترتيبه من جهة ثالثة).

ويذكر المؤلف أنه استفتى سماحة الشيخ (أبا اليسر عابدين) مفتي سورية في ذلك الوقت والشيخ (عبد الفتاح أبو غدة) وتلقى منهما جواباً مؤيداً لهذه الطريقة[٢].

واعتبر الشيخ أبو غدة هذه المحاولة من باب وحدة الموضوع بين السورة والسورة من حيث زمن نزولها سابقة أو لاحقة إن لم يُقبل كونها تفسيراً بحسب ترتيب النزول، فكما يقبل ذلك هناك فليقبل هنا، واستشهد له بشواهد من علماء أجلاء قدماء قد مشوا على هذه الطريقة في التفسير أو ما يقاربها.

ولكن الدكتور محمد الدسوقي في كتابه (في تاريخ القرآن وعلومه) يقول عن التفسير الحديث: وهذه المسوغات التي اعتمد عليها الأستاذ دروزة في قراره لا تقوم حجةً لـه، لأن تفسير سورة واحدة أو أكثر غير تفسير القرآن كله، ثم إن علاقة فهم النص القرآني بمراحل تاريخ الدعوة لا يقتضي العدول عن ترتيب المصحف، لأن هذا قد يفهم منه أن هذا الترتيب ـ و هو توقيفي ـ يعد عائقاً في فهم النص المقدس، وما قال بهذا أحد ـ فيما أعلم ـ قديماً أو

(١) لنا تحفظ على قول المؤلف (المصحف المتداول) فكأنه أشار بهذه الكلمة إلى أنه يوجد مصحف متداول ومصحف غير متداول، والحقيقة إنه مصحف واحد مرتب توقيفياً بوحي من الله تعالى.

(٢) ونرى أن الأفضل بالنسبة لتفسير القرآن الكريم أن يفسر على ترتيبه التوقيفي.

حديثاً، وقد يفتح باب الكلام في قدسية ترتيب القرآن، وحاول فتحه بعض المستشرقين الذين نادوا بطبع القرآن وفق ترتيب النـزول.

وهذا التعقيب لا يطعن في الجهد الطيب الذي بذله ـ مأجوراً ـ الأستاذ دروزة في تفسيره، ولا يسيء الظن به، أو ينال من جهاده المبرور في الدفاع عن كتاب الله، ورد كيد أعدائه من اليهود والمبشرين والملحدين إلى نحورهم.

٤ ـ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج

المؤلف: أ.د وهبة الزحيلي

رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه سابقاً وأستاذ الدراسات العليا في جامعة دمشق، وعضو المجامع الفقهية .**له مؤلفات كثيرة أهمها**: موسوعة الفقه الإسلامي وأدلته، وأصول الفقه، والتفسير المنير الذي نحن بصدده والتفسير الوسيط، والتفسير الوجيز.

الكتاب: تفسير لكتاب الله عز وجل حاول فيه المؤلف أن يربط المسلم بكتاب الله عز وجل ربطاً علمياً وثيقاً، ولم يقتصر على بيان الأحكام الفقهية للمسائل بالمعنى المعروف عند الفقهاء، بل أوضح الأحكام المستنبطة من آي القرآن الكريم بالمعنى الأعم الذي يشمل العقيدة والأخلاق والمنهج والسلوك، والدستور العام، والفوائد المستنبطة من الآيات القرآنية تصريحاً أو تلميحاً أو إشارة، سواء في البنية الاجتماعية للمجتمعات، أو في الحياة الشخصية لكل إنسان في صحته وعمله وعلمه ودنياه وآخرته.

يقول المؤلف عن كتابه: (... فإنه سيكون تفسيراً يجمع بين المأثور والمعقول، مستمداً من أوثق التفاسير القديمة والحديثة، ومن الكتابات حول القرآن الكريم تأريخاً وبيان أسباب النـزول، وإعراباً يساعد في توضيح كثير من الآيات، ولست بحاجة كبيرة إلى الاستشهاد بأقوال المفسرين، وإنما سأذكر أولى الأقوال بالصواب بحسب قرب اللفظ من طبيعة لغة العرب وسياق الآية.

ولست في كل ما أكتبه متأثراً بأي نزعة معينة أو مذهب محدد، أو إرث اعتقادي سابق لاتجاه قديم، وإنما رائدي هو الحق الذي يهدي إليه القرآن الكريم، على وفق طبيعة اللغة العربية، والمصطلحات الشرعية، مع توضيح آراء العلماء والمفسرين بأمانة ودقة وبعد عن التعصب).

بدأ المؤلف تفسيره بمقدمة سماها (**بعض المعارف الضرورية المتعلقة بالقرآن) وهي تشتمل على المباحث التالية**:

١ ـ تعريف القرآن وكيفية نزوله وطريقة جمعه.

٢ ـ طريقة كتابة القرآن والرسم العثماني.

٣ ـ الأحرف السبعة والقراءات السبعة.

٤ ـ القرآن كلام الله وأدلة الإثبات بوجوه الإعجاز.

٥ ـ عربية القرآن وترجمته إلى اللغات الأخرى.

٦ ـ الحروف المقطعة التي في أوائل السور.

٧ ـ التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية في القرآن الكريم.

ثم بعد تلك المقدمات كان التفسير، **والخطة التي اتبعها المؤلف هي كالتالي**:

يبدأ بذكر ما اشتملت عليه السورة فيذكر أهم الموضوعات التي وردت في السورة بإيجاز مع الاستشهاد بالآيات لكل موضوع يشير إليه.

ثم يذكر سبب تسمية السورة ويشير إلى أسماء أخرى عرفت بها السورة، ويورد أحاديث في فضل السورة إن وجدت، وهو في ذلك يعتمد الأحاديث الصحيحة فإن لم يكن هناك أحاديث صحيحة في ذلك لم يذكر شيئاً لا كما فعل غيره من القدماء حيث ذكروا في فضل السور أحاديث موضوعة لا أصل لها لمجرد أنهم ورثوها عمن قبلهم من غير تحكيم للعقل ولا تلمس للصحة.

ثم يبدأ بتقسيم السورة إلى مجموعات من الآيات لكل مجموعة عنوان يعبر عن مضمونها فيأتي بإعراب بعض ألفاظها ثم أوجه البلاغة ثم شرح

المفردات اللغوية، ثم أسباب النزول إن وجدت، ومناسبة الآيات لما قبلها، ثم التفسير والبيان للمقطع كله بشكل كامل ثم يختم ذلك بما سماه: (فقه الحياة والأحكام) ليعبّر بهذا العنوان عما حوته هذه الفقرة من فوائد فقهية أو أخلاقية أو عقدية أو منهجية، فهي ـ كما قال ـ ليست أحكاماً فقهية فحسب وإنما تشمل الفوائد من الآيات بما يفيد القارئ لها مهما كان مستواه العلمي.

٥ ـ تفسير القرآن الكريم؛ إعرابه وبيانه

المؤلف: محمد علي طه الدرة، مؤلف معاصر، اهتم باللغة العربية والإعراب، وكانت مؤلفاته كثيرة في هذا المضمار، منها: إعراب شواهد مغني اللبيب لابن هشام، إعراب شواهد جامع الدروس العربية للشيخ إبراهيم الغلاييني، إعراب المعلقات العشر وشرحها، وهذا التفسير الذي نحن بصدده.

الكتاب: هو كتاب جامع بين التفسير والإعراب، حيث يشرح المؤلف الآيات شرحاً موجزاً يفي بغرض من أراد فهم الآيات فهماً عاماً.

وهو لا ينسى أثناء شرحه أن يأتي بالمعنى اللغوي للمفردات، وببعض القراءات يدرجها دون أن يقطع ذلك من سلاسة أسلوبه، كما لا ينسى أن يصرّف الكلمة ويذكر وزنها، وما أُعِلَّ منها وما أبدل، كل ذلك بأسلوب جميل يلفت الأنظار، ويدعو قارئه ليبقى معه دون كلل أو ملل.

على غير عادة ما أَلِفَه الناس في كتب اللغة العربية أو كتب التفسير التي تهتم بالجوانب اللغوية، حيث إن بعضها يبدو ثقيلاً لغير المتخصص، فلا يرغب بقراءته أو الاستفادة منه، وهذا طبعاً لغير العاشقين للغة العربية، أما عاشقوها فبأيّة طريقة قدمت أخذوها، وأيّة سبيل سلكت لحقوها.

والمؤلف بعد شرحه للآيات يعربها، وهو يذكر في مقدمته أنه سلك في الإعراب سبيل الاختصار والإيجاز خوفاً من الإطالة وما يتسبب عنها من ضخامة حجم الكتاب.

٦ ـ إعراب القرآن الكريم وبيانه:

المؤلف: محيي الدين الدرويش.

الكتاب: هو كتاب في إعراب القرآن الكريم إلا أن مؤلفه قد وشّاه بتحف لا تجعله إعراباً فحسب، إنما هو إعراب ومعان وبلاغة وفوائد.

يبدأ المؤلف تفسيره للآيات أولاً بشرح المعاني اللغوية للكلمات الغريبة التي وردت في المقطع، ثم يعرب ألفاظ الآيات كلمة كلمة، وقد اختار من الإعراب الأوجه الراجحة والتي لا إشكال عليها، وترك تعدد الوجوه في الإعراب والوجوه الغامضة، حيث ـ على ما يبدو ـ أراد من كتابه أن ينتفع به أكبر قدر من القراء، ولم يجعله للمتخصصين فقط، وكانت هذه خطوة يشكر عليها لأن هناك كثيراً ممن يرغبون بمعرفة الإعراب الواضح دون التوغل في إشكالات صعبة الحل.

ويتابع المؤلف بعد شرح المفردات وإعرابها، فيذكر اللفتات البلاغية التي في النص ثم يعقب ذلك بشرح الفوائد من النص، وغالباً ما تكون هذه الفوائد لغوية.

٧ ـ تفسير الشعراوي

المسمى (خواطري حول القرآن الكريم):

المؤلف: محمد متولي الشعراوي، داعية إسلامي، وعلَم من أعلام الأمة الإسلامية تولى منصب وزير الأوقاف لمدة في مصر، وكان مدرساً في مساجد مصر وغيرها من البلدان العربية والإسلامية، وكانت له محاضرات أسبوعية في تفسير القرآن الكريم، ومنها دوِّن هذا التفسير.

الكتاب: كتب الشيخ الشعراوي رحمه الله مقدمة لمحاضراته في التفسير التي جمعها تلاميذه وأبناؤه ودونوها فقال: (خواطري حول القرآن الكريم لا تعني تفسيراً للقرآن، وإنما هي هبات صفائية تخطر على قلب مؤمن في آية

أو بضع آيات، ولو أن القرآن من الممكن أن يفسر لكان رسول الله ﷺ أولى الناس بتفسيره.

ولكن رسول الله ﷺ اكتفى أن يبين للناس على قدر حاجتهم من العبادة التي تبين لهم أحكام التكليف وهي افعل ولا تفعل، أما الأسرار المكتنزة في القرآن حول الوجود فقد اكتفى رسول الله ﷺ بما عُلم منها. . .)[١].

وقد بدأ المؤلف تفسيره بمدخل عرّف فيه القرآن الكريم، وتحدث عن أهمية فهمه وقوة تأثيره حتى إن المشركين أدركوا ذلك وخافوا على أنفسهم من سماعه، وكانوا يدعون أنصارهم أن يلغوا فيه لئلا يستمعوا إليه فيؤثر فيهم.

ثم تحدث فيها عن هذه المعجزة العظيمة معجزة القرآن الكريم، مقلباً الوجوه في أنواعها ونواحيها.

ثم انتقل إلى تفسير الاستعاذة، فكان بحثاً عن الشيطان وغدره وعداوته لبني آدم.

وأخذ بتفسير سور القرآن الكريم سورة سورة، وهي ـ كما قال عنها ـ خواطر عن القرآن الكريم، فيها فوائد كثيرة، ولعلنا إذا علمنا أن هذه

(١) هذا الكلام هو وجهة نظر الشعراوي رحمه الله ولكنه غير مسلّم لنا لأن رسول الله ﷺ فسّر بعضاً من القرآن الكريم، وهو ما اشتبه على الصحابة رضي الله عنهم ولم يكن اهتمامهم إذ ذاك بفهم الحقائق العلمية أو الكونية التي جاءت في القرآن على أنها علوم يريدون البحث عنها، ومعرفة قواعدها وتطبيقاتها، وإنما كان القرآن بالنسبة لهم كتاب هداية ورسالة سماوية ففهموه على هذا الأساس، وسلّموا بحقائقه الموجودة فيه سواء أفهموها أم لم يفهموها، وهاهو ابن عباس يقول: لم أكن أعلم معنى (فاطر) إلا بعد أن سمعت أعرابيين يتشاجران في بئر فهذا يقول: أنا بدأتها، وذلك يقول: أنا فطرتها.
وهذا عمر رضي الله عنه يقول: تساءلت يوماً: الفاكهة نعرفها فما هو (الأبُّ) في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عبس: ٣١]. ثم راجع نفسه قائلاً: إن هذا لهو التكلف يا عمر.
أما اليوم فيحاول البعض أن يقحم هذه العلوم في التفسير، رغبة في أن يطلع عليها ضعيف الإيمان فتزيده إيماناً، أما المؤمن الحقيقي فيكفيه أنها حقائق وردت في القرآن الكريم.

المحاضرات في التفسير كانت دروساً ومحاضرات يلقيها الشيخ الشعراوي أسبوعياً، ندرك السبب الذي جعل هذا التفسير طويلاً جداً.

وهو ينتقل في جوانب الموضوع بشكل متكامل جيئة وذهاباً، فيقف على الأمور التربوية والدعوية والاجتماعية التي كانت جل اهتمامه.

فهو لم يقف على ما وقف عليه المفسرون من شرح للكلمة أو إعراب لها، أو الحديث عن بلاغة النص والأحكام المستنبطة منه، بقدر ما وقف على ما يستفاد من الآيات لتربية النفوس وربطها بخالقها من خلال فهم آيات القرآن الكريم.

كما أنه لم يُشَر في المقدمة أو الحواشي والهوامش إلى مراجع استفاد منها المؤلف رحمه الله. والتفسير حتى ساعة تأليف هذا الكتاب لم يتم إلى نهاية القرآن الكريم، وما طبع منه بلغ إلى الآية (٣٥) من سورة النور، وذلك في ستة عشر مجلداً.

ولا تزال الجهود قائمة لإتمام طباعته ونشره.

٨ ـ **مختصر تفسير ابن كثير**، محمد علي الصابوني.

٩ ـ **صفوة التفاسير**، محمد علي الصابوني.

١٠ ـ **روح القرآن الكريم**، تفسير أجزاء أو سور مفردة من القرآن الكريم، عفيف عبد الفتاح طبارة.

١١ ـ **أنوار الإسراء**، للمؤلفة د. فاطمة مارديني، تفسير شامل ودراسة موسوعية لسورة الإسراء جمعت بين التفسير التحليلي بكل أدواته، والتفسير الإجمالي للسورة، ثم التفسير الموضوعي حيث تم توجيه الضوء إلى أبرز الموضوعات التي تناولتها السورة وبحثها من خلال آيات القرآن الكريم بشكل عام انطلاقاً من سورة الإسراء بأسلوب جديد لم يسبق أحد إليه في دراسة سور القرآن الكريم، كما تم استنباط الأحكام الفقهية من السورة ثم آيات

الإعجاز حيث درست بشكل تفصيلي وتم ربطها مع الاكتشافات العلمية المعاصرة.

١٢ ـ **قبسات من الذكر الحكيم**، للمؤلفة د. فاطمة مارديني. سور من القرآن الكريم مفسرة تفسيراً إجمالياً.

نماذج من كتب التفسير الموضوعي:

١ ـ مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم:

هو كتاب في التفسير الموضوعي النظري شرح فيه المؤلف معاني هذا التفسير وأنواعه ثم فسر سورة الكهف نموذجاً للتفسير الموضوعي لسورة من سور القرآن الكريم، وعرض بحث الألوهية في القرآن الكريم نموذجاً عن التفسير الموضوعي لموضوع من خلال القرآن الكريم كله.

٢ ـ منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، زياد الدغامين:

ركز فيه المؤلف على الوحدة الموضوعية للسورة وعرض آراء العلماء فيها ودرس نموذجاً على ما ذكر سورة الحجر حيث وضح فيها الوحدة الموضوعية تطبيقياً.

كما درس موضوع المكر في القرآن الكريم دراسة تطبيقية للتفسير الموضوعي لموضوع من خلال القرآن الكريم.



رَجاءٌ وَنِدَاء
إلى السادة العلماء

وفي الختام، أحط الرحال بعد جولة طفت فيها بحدائق المفسرين، فكانت منها حدائق غناء ذات بهجة وسرور، وظلال وحبور، وكانت منها حدائق تعبق بعبير الزهور، وكان في بعضها كدر وأشواك، تحتاج إلى تهذيب وتشذيب.

إنها جولة سريعة وضعت فيها النقاط على الحروف، ووجهت الأصابع نحو الجروح لأوجه ندائي إلى السادة العلماء والعاملين الأتقياء..

إلى كل من يغار على العلم.. ويسلك سبيل الحكماء...

إلى كل من يتصدى للتعليم... أو للتأليف...

إلى من يعمل في حقل العلم والعلماء....

أرجوكم.. تمهلوا.. قفوا أمام ما تكتبونه في كتبكم أو تنقلونه عمن كان قبلكم، أو تروونه في دروسكم العامة، أو ساعات وعظكم، قفوا أمام كل ذلك موقف الحكم العدل، الذي يتريث في نقله، ويتروى في روايته.

إنَّ كُتُب السابقين قد دخلها الدس والتحريف، وبعضها دخلتها الأخطاء بقصد أو بغير قصد، ومنها ما حمل لنا قصصاً لا أصل لها، وأحاديث موضوعة.

إن كان ما كتبوه ونقلوه عن غير قصد، وبحسن نية، ولعدم توافر أسباب اتقاء تلك الأخطاء...

فنحن اليوم مؤاخذون، وغداً أمام ربنا محاسبون، فقد ملكنا الأسباب، وتيسرت لنا السبل للبحث والتمحيص. فلا عذر لنا في النقل بغير تثبت والرواية من غير تيقن.

لا سيما وأن العالم اليوم قد تكالب على الإسلام، وتحقق حديث رسول الله ﷺ: «**تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها. قالوا: أعن قلة نكون يا رسول الله؟! قال: لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يصيبكم الوهن**».

وإني أرى أن الوهن قد أصاب أقلامنا وعقولنا، فلم نعد قادرين حتى على أن نميز العلم الصحيح من السقيم.

لقد كثر الكتَّاب اليوم وكثرت الكتب، ولكننا لو بحثنا بين خضم هائل من الكتب والمؤلفات عن كتاب يصلح لصناعة الإنسان، أو لتصحيح مسار فكره وتنوير عقله ليصل إلى طريق الله المستقيم فلا أكون مبالغة لو قلت: إننا لا نجد إلا القليل.

وإنني بعد هذا التجوال في كتب التفسير قديمها وحديثها بأنواعها المختلفة، وجدت أن المكتبة الإسلامية ينقصها نوع من التفسير لم يحظ بعناية المفسرين، ولم يأخذ حيزاً من الوجود الملموس بين كتب التفسير إلى يومنا هذا وهو التفسير الإجمالي، الذي يدرس السورة بإجمال ويبين أبرز ما فيها من هدايات ومقاصد دون الخوض فيما عنيت به كتب التفسير بشكل عام من إعراب وبلاغة وصرف وأحكام فقهية مع العلم أن لكل ضرورته في حينه.

وقد حاولت جهدي في كتابيَّ (قبسات من الذكر الحكيم) و(سلسلة التفسير) أن أرفد المكتبة الإسلامية بالتفسير الإجمالي راجية من الله تعالى أن يتقبل عملي هذا ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، كما أرجو أن يكون هذا

العمل من القليل النافع، وليس من الكثير الضائع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع.

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِين

والصلاة والسلام على الرسول الأمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

في دمشق الشام

٢٨ ربيع الأنور ١٤٢٥ هـ

الموافق ١٨ أيار ٢٠٠٤ م

المصادر والمراجع

- الاعتصام: الشاطبي.
- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي.
- الإحكام في أصول الأحكام: الآمدي.
- الإسرائيليات في التفسير والحديث: محمد حسين الذهبي.
- البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي الشوكاني.
- البرهان في علوم القرآن: محمد بن عبد الله الزركشي.
- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور.
- التعريفات: علي بن محمد الجرجاني.
- التفسير الحديث: محمد عزة دروزة.
- التفسير العلمي للقرآن في الميزان: أحمد أبو حجر.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبة الزحيلي.
- التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي.
- التفسير ورجاله: محمد الطاهر بن عاشور.
- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله القرطبي.
- الجواهر في تفسير القرآن الكريم: طنطاوي جوهري.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي.
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: أحمد بن حجر العسقلاني.
- الديباج المذهب: ابن فرحون.
- السراج المنير: شمس الدين الشربيني.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: السخاوي.

- الفتاوى: ابن تيمية.
- القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل: أبو القاسم الزمخشري.
- الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة: نجم الدين الغزي.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي.
- المدخل لدراسة القرآن الكريم: محمد محمد أبو شهبة.
- أبجد العلوم: صديق بن حسن القنوجي.
- أحكام القرآن: البيهقي.
- أحكام القرآن: أبو بكر الجصاص الحنفي.
- أحكام القرآن: عماد الدين الكيا الهراسي الشافعي.
- أحكام القرآن: ابن العربي المالكي.
- أصول التفسير وقواعده: خالد عبد الرحمن العك.
- أصول الفقه الإسلامي: د. وهبة الزحيلي.
- أعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن قيم الجوزية.
- أمالي الشريف المرتضى: أبو القاسم علي بن طاهر.
- أنوار الإسراء: د. فاطمة مارديني.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين البيضاوي.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي.
- إعراب القرآن الكريم وبيانه: محيي الدين الدرويش.
- إيجاز البيان: محمد علي الصابوني.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: ابن عميرة الضبي.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي.
- تاريخ القرآن وعلومه: محمد الدسوقي.
- تدريب الراوي: جلال الدين السيوطي.
- تفسير الجلالين: جلال الدين السيوطي والمحلي.
- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير الدمشقي.
- تفسير القرآن العظيم: سهل بن عبد الله التستري.
- تفسير القرآن الكريم مصادره واتجاهاته: عبد الله بن عبد الرحمن.

- تفسير القرآن الكريم، إعرابه وبيانه: محمد علي طه الدرة.
- تفسير آيات الأحكام: محمد علي السايس.
- تناسق الدرر في تناسب السور: جلال الدين السيوطي.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ابن جرير الطبري.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: جلال الدين السيوطي.
- خواطري حول القرآن الكريم: محمد متولي الشعراوي.
- روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن: محمد علي الصابوني.
- روح القرآن الكريم: عفيف عبد الفتاح طبارة.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود بن عبد الله الآلوسي.
- سنن الترمذي.
- سنن أبي داود.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن العماد الحنبلي.
- صحيح البخاري.
- صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني.
- طبقات المفسرين: شمس الدين الداودي.
- علوم القرآن الكريم: د. نور الدين عتر.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين النيسابوري.
- فتح القدير: الشوكاني.
- قبسات من الذكر الحكيم: د. فاطمة مارديني.
- كتابة البحث العلمي: عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى حاجي خليفة.
- لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين الخازن.
- لسان العرب: ابن منظور المصري.
- لسان الميزان: أحمد بن حجر العسقلاني.
- لمحات التصوف وتاريخه: د. السائح علي حسين.
- لمحات في المكتبة والبحث والمصادر: محمد عجاج الخطيب.
- مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم.

- متشابه القرآن: القاضي عبد الجبار الهمذاني.
- مجمع البيان لعلوم القرآن: الطبرسي.
- محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي.
- مختصر تفسير ابن كثير: محمد علي الصابوني.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات بن محمود النسفي.
- مدخل الدراسات القرآنية: د. السائح علي حسين.
- مدخل إلى القرآن الكريم: عبد الله دراز.
- مرجع العلوم الإسلامية: د. محمد الزحيلي.
- مسند الإمام أحمد.
- مع المكتبة العربية: عبد الرحمن عطبة.
- مفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي.
- مفاتيح النعمة: النعمان المغربي.
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم: أحمد بن مصطفى طاش كبرى زادة.
- مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني.
- مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون.
- مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية.
- مناهل العرفان: محمد عبد العظيم الزرقاني.
- منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: زياد الدغامين.
- نظم الدرر: البقاعي.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: المقري.
- هميان الزاد إلى دار المعاد: محمد بن يوسف الإباضي.
- وفيات الأعيان: أحمد بن خلكان.



المؤلفة في سطور
الدكتورة فاطمة محمد مارديني

مواليد دمشق ـ سوريا ـ عام ١٩٦٩م.

حائزة على الشهادات العلمية الآتية:

- الثانوية العامة العلمية من ثانويات دمشق عام ١٩٨٧م.
- الثانوية الشرعية، من المعهد الشرعي للدعوة والإرشاد بدمشق عام ١٩٨٨م.
- الإحصاء والحاسب الآلي في جامعة دمشق عام ١٩٨٩م.
- إجازة في اللغة العربية والدراسات الإسلامية عام ١٩٩٢م.
- دبلوم في التفسير وعلوم القرآن عام ١٩٩٣م.
- درجة التخصص العالي (الماجستير) في التفسير وعلوم القرآن عام ١٩٩٨م.
- درجة التخصص الدقيق (الدكتوراه) في التفسير وعلوم القرآن، عام ٢٠٠٣ م.
- إجازة في قراءة القرآن الكريم وإقرائه من فضيلة العلامة الشيخ الحافظ الجامع المتقن (محمد طه سكر) تغمّده الله برحمته وآنس روحه، عام ٢٠٠٢م.

تعمل:

- مدرّسة في الكليات والمعاهد الشرعية بدمشق.
- تقوم بإقراء القرآن الكريم، وتدير معهداً لتحفيظ القرآن الكريم للإناث.



فهرس الموضوعات

مقدمة ٧

الفصـــل الأول: التَّفْسِيرُ البُعْدُ الدلالِّي ٩

المبحث الأول: تعريـف التفسير ١١

التفسير لغة ١٢

التفسير اصطلاحاً ١٢

المبحث الثاني: تعريف التأويل ١٣

التأويل لغة ١٤

التأويل اصطلاحاً ١٤

التأويل عند المتكلمين ١٤

التأويل عند الأصوليين ١٥

المبحث الثالث: الفرق بين التفسير والتأويل ١٧

سبعة فروق بين التفسير والتأويل مع الأمثلة ١٨

المبحث الرابع: نشأة علم التفسير ٢٠

نشأة علم التفسير ٢١

أوجه تفسير القرآن بالقرآن ٢١

أثر القراءات في التفسير ٢٢

أوجه بيان السنة للقرآن ٢٣

تدرج تدوين التفسير ٢٤

المبحث الخامس: مكانة علم التفسير ٢٦
مكانة علم التفسير ٢٧
المبحث السادس: الغرض من تفسير القرآن الكريم ٢٩
الغرض من تفسير القرآن الكريم ٣٠
المبحث السابع: فضل علم التفسير ٣٣
التفسير مفتاح كنوز القرآن ٣٤
الحفظ والفهم ثم العمل ٣٤
المبحث الثامن: الحاجة إلى تفسير القرآن الكريم ٣٦
الحاجة إلى تفسير القرآن ٣٧
المبحث التاسع: مراتب التفسير ٣٨
الذي تعرفه العرب ٣٩
ما لا يعذر واحد في جهله ٣٩
ما لا يعلمه إلا الله تعالى ٤٠
ما يرجع إلى اجتهاد العلماء ٤٠
المبحث العاشر: أحسن طرق التفسير ٤١
القرآن الكريم نفسه ٤٢
السنة النبوية الشريفة ٤٢
أقوال الصحابة ٤٢
اللسان العربي ٤٣
الفصل الثاني: التَّفْسِيرُ بَيْنَ القَدِيم وَالحَدِيثِ ٤٥
المبحث الأول: التفسير بالمأثور دراسة تحليلية نقدية ٤٧
تعريف التفسير المأثور ٤٨
الموقف من التفسير المأثور ٤٨
أسباب دخول الدس والتحريف في كتب التفسير ٤٩
طبقات المفسرين ٥١

الطبقة الأولى (السابقون من الصحابة) ٥١
عبد الله بن عباس رضي الله عنه ٥١
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ٥٤
علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٥٥
أبي بن كعب رضي الله عنه ٥٦
قيمة التفسير المأثور عن الصحابة ٥٧
الطبقة الثانية (المفسرون من التابعين) ٥٧
مدارس التفسير ٥٨
مدرسة التفسير بمكة ٥٨
مدرسة التفسير بالمدينة ٥٨
مدرسة التفسير بالعراق ٥٨
الطبقة الثالثة (تلاميذ التابعين) ٥٩
الطبقة الرابعة (طبقة عنيت بالفوائد) ٥٩
الضعف في رواية التفسير بالمأثور وأسبابه ٦٠
كثرة الوضع ٦٠
الإسرائيليات ٦٢
حذف الأسانيد ٦٤
أشهر كتب التفسير بالمأثور ٦٦
جامع البيان في تفسير القرآن ٦٦
المحرر الوجيز ٧٠
تفسير القرآن العظيم ٧٠
الدر المنثور ٧٢
أحكام القرآن ٧٣
المبحث الثاني: التفسير بالرأي ـ الجائز ـ دراسة تحليلية نقدية ٧٥
تعريف التفسير بالرأي ٧٦
موقف العلماء من التفسير بالرأي ٧٦
الفريق الأول: المانعون وأدلتهم ٧٦

الفريق الثاني: المجيزون وأدلتهم ٧٧
العلوم التي يحتاج إليها المفسر ٧٨
شروط المفسر وآدابه ٧٩
منهج التفسير بالرأي ٨٠
أشهر كتب التفسير بالرأي وآراء العلماء فيها ٨١
الكشاف ٨١
مفاتيح الغيب ٨٣
أنوار التنزيل ٨٣
الجامع لأحكام القرآن ٨٥
مدارك التنزيل ٨٦
لباب التأويل ٨٨
البحر المحيط ٨٩
غرائب القرآن ٩٠
الجلالين ٩١
السراج المنير ٩٣
إرشاد العقل السليم ٩٤
روح المعاني ٩٦

المبحث الثالث: التفسير بالرأي ـ المنحرف ـ دراسة تحليلية نقدية ... ٩٨
تمهيد ٩٩
غلو بعض الطوائف ١٠٠
نماذج من التفاسير الباطلة ١٠١
نماذج من كتب التفسير بالرأي المذموم ورأي العلماء فيها ١٠٤
أمالي الشريف المرتضى ١٠٤
مجمع البيان ١٠٥
فتح القدير ١٠٦
هميان الزاد ١٠٨

المبحث الرابع: التفسير الاعتزالي ١١٠
مميزات التفسير الاعتزالي ١١٢
أشهر كتب التفسير الاعتزالي ١١٣
الكشاف ١١٣
متشابه القرآن ١١٣
المبحث الخامس: التفسير الصوفي ١١٤
معنى التصوف ١١٥
أقسام التصوف ١١٥
أنواع التفسير الصوفي ١١٦
التفسير الصوفي النظري ١١٦
التفسير الصوفي الإشاري ١١٦
شروط قبول التفسير الإشاري ١١٧
نماذج من التفسير الصوفي ١١٧
من كتب التفسير الصوفي ١١٨
تفسير القرآن العظيم ١١٨
غرائب القرآن ١١٩
المبحث السادس: التفسير الفلسفي ١٢٠
معنى التفسير الفلسفي ١٢١
مواقف المسلمين تجاه الفلسفة بشكل عام ١٢١
المبحث السابع: التفسير الفقهي ١٢٣
تعريف التفسير الفقهي ١٢٤
نشأة التفسير الفقهي وتطوره ١٢٤
نماذج من كتب التفسير الفقهي القديمة ١٢٥
أحكام القرآن للجصاص ١٢٥
أحكام القرآن للكيا الهراسي ١٢٧
أحكام القرآن لابن العربي المالكي ١٢٨

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢٨
نماذج من كتب التفسير الفقهي المعاصرة ١٢٨
روائع البيان ١٢٨
تفسير آيات الأحكام ١٢٨
المبحث الثامن: التفسير العلمي بين القديم والحديث ١٢٩
حدود وتعريفات ١٣٠
المقصود بالعلم في مصطلح التفسير العلمي ١٣٠
تعريف التفسير العلمي ١٣٠
آثار التفسير العلمي ١٣٠
آراء العلماء بالتفسير العلمي ١٣١
المؤيدون وأدلتهم ١٣١
المعارضون وأدلتهم ١٣٣
خلاصة القول بالتفسير العلمي ١٣٤
أشهر الكتب التي تضمنت تفاسير علمية في العصر القديم ١٣٥
مفاتيح الغيب ١٣٥
أشهر الكتب التي تضمنت تفاسير علمية مغالية في العصر الحديث ١٣٦
الجواهر في تفسير القرآن الكريم ١٣٦
أشهر الكتب التي تضمنت تفاسير علمية معتدلة في العصر الحديث ١٣٩
مدخل إلى القرآن الكريم ١٣٩
كتب أخرى ١٤٠
المبحث التاسع: التفسير المعاصر ١٤٢
تعريف التفسير المعاصر ١٤٣
ألوان التفسير المعاصر ١٤٤
التفسير التحليلي ١٤٤

التفسير الإجمالي للآيات ١٤٥
التفسير الإجمالي للسورة ١٤٥
التفسير المقارن ١٤٥
التفسير الموضوعي ١٤٦
ألوان التفسير الموضوعي ١٤٦
التفسير الموضوعي لموضوع ١٤٦
التفسير الموضوعي لسورة ١٤٧
الوحدة الموضوعية للسورة ١٤٧
علم المناسبات والتفسير الموضوعي ١٥٠
أهمية علم المناسبات ١٥٠
آراء العلماء في علم المناسبات ١٥٠
أهم المؤلفات في علم المناسبات ١٥٢
أقسام المناسبات ١٥٣
القسم الأول المناسبات في السورة الواحدة ١٥٣
أنواعها ١٥٣
القسم الثاني المناسبات بين السور المتجاورة ١٥٤
أنواعها ١٥٥
أشهر الكتب في التفسير المعاصر ١٥٧
محاسن التأويل ١٥٧
التحرير والتنوير ١٥٩
التفسير الحديث ١٦١
التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ١٦٤
تفسير القرآن الكريم؛ إعرابه وبيانه ١٦٦
إعراب القرآن الكريم وبيانه ١٦٧
تفسير الشعراوي ١٦٧
مختصر تفسير ابن كثير ١٦٩
صفوة التفاسير ١٦٩
روح القرآن الكريم ١٦٩

أنوار الإسراء ١٦٩
قبسات من الذكر الحكيم ١٧٠
نماذج من كتب التفسير الموضوعي ١٧٠
مباحث في التفسير الموضوعي ١٧٠
منهجية البحث في التفسير الموضوعي ١٧٠
رَجاءٌ وَنِدَاء إلى السادة العلماء ١٧١
المصادر والمراجع ١٧٤
المؤلفة في سطور ١٧٨
فهرس الموضوعات ١٨١







للطباعة والنشر والتوزيع

تأسست بيت الحكمة عام ١٩٩٥م وقد دأبت منذ تأسيسها على العمل وفق محورين:

- نشر الثقافة والمعرفة
- تذليل العقبات في التواصل بين الكتاب والقارئ

صدر عن الدار خلال هذه الفترة إصدارات مميزة وفريدة أثرت المكتبة العربية وكان لها صدى واسع لدى القراء .

كما ساهمت الدار بتأسيس مجلة مرآة الفكر والثقافة كأول مجلة إعلانية شهرية مجانية متخصصة بشؤون الفكر والثقافة ، والتي كان لها دور كبير في التواصل مع القراء بدخولها المجاني إلى كل بيت والتعريف بإصدارات دور النشر من خلال ٥٠٠٠٠ ألف نسخة مجانية كل شهر .

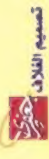
ومن منطلق تذليل العقبات أمام القارئ تبنت الدار خدمة التوصيل المجاني للكتاب لتوفر عليه الوقت والجهد .

ربيع ديركي

دمشق - حلبوني - هاتف: ٠٠٩٦٣١١٩٣٣٧٩٣٢١٤

التفسير والمفسرون

يُقَدّم هذا الكتاب للباحثين والطُّلاب إضاءةً مركّزة على قضية تفسير القرآن ، بدءاً من دلالة هذا العلم ، وانتهاءً بمراتبه وأحسن طرقه ، مروراً بتاريخ نشأته ، ومكانته ، وأغراضه ، وفضله ، والحاجة إليه . وهو يلُمُّ شعَثَ الأبحاث المتفرقة حول مدارس التفسير المختلفة ، فيُقَدّم صورةً جامعةً لملامح هذه المدارس ، وأبرزِ أعلامها ، وأهم المؤلّفات الموضوعة في تفسير القرآن الكريم ، بحسب تنوع مذاهب تفسيره . إن هذا الكتاب مفتاحٌ معرفيٌّ للدارسين يضع بين أيديهم مقدّماتٍ في فهم جهود علماء الأمة في استنباط أحكام كتاب الله تعالى ومعانيه. ولقد اجتمعَ فيه الإيجاز والإحاطة ، فجاء لطيف الحجم ، غزير المادة ، دقيق المعلومة ، معتصراً بين ثناياه بحوثَ أمهاتِ الكتب التي عُنِيَت بعلم تفسير القرآن الكريم .


تصميم الغلاف


ISBN 978-9933-400-00-2
9 789933 400002

بيت الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع - سوريا - دمشق - هاتف : ٠٩٣٣٧٩٣٢١٤